الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم-

قسم الأدب العربي

الملمح البديعي في منظومة يحي بن معطي الزواوي

- دراسة بلاغية -

رسالة ماستر في البلاغة العربية

إعداد الطالب:

محمد يقوته نور امحمد

بإشراف الدكتور قوعيش

العام الدراسي: 2015 -2016

شكـــــر

الشكر كل الشكر للمولى عز وجل أن وفقني لإنجاز هذا البحث،وأنار لي طريق العلم.

وأقدم شكري إلى أستاذي الفاضل " بقوته نور امحمد" على مرافقته لي في خوض غمار هذا البحث،وإشرافه على إنجاز هذه الرسالة.كما أشكره على النصائح والإرشادات التي قدمها لي،والتي كانت في صالح إنجاز هذا البحث.

الإهـــداء

أهدي جهدي وعملي إلى من ربياني صغيرا، وسهرا على تدريسي في أصعب الأيام:"أمي" و"أبي"، متمنيا لهما دوام الصحة والعافية وطول العمر.

أهدي هذا العمل إلى جميع إخوتي وأخواتي،وإلى أخي الأصغر "العربي" بخاصة.

أهدي هذا العمل إلى جميع أصدقائي الذين رافقوني في مشواري الجامعي طيلة خمس سنوات.

المقـــدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

يعدّ البديع ركيزة من ركائز البلاغة العربية، نظرا لما تتيحه من جماليات فنية على مستوى الخطاب الشعري والنثري، لذا كان لزاما على البلاغيّن الاهتمام بالجانب الفني، فانصبّت جهودهم واهتماماتهم على تأليف مصنّفات كان لها الأثر البالغ في بلورة الدرس البديعي، ولترسيخ قواعد البلاغة اتجهت زمرة من هؤلاء البلاغيين إلى نظم باقة من العلوم في شكل منظومات تعليمية، وذلك قصد تيسير حفظ هذه العلوم وتذكرها من قبل طلاب العلم، في وقت أصبح فيه الميل إلى المنظوم أكثر منه إلى المنثور، وعلى هذا الأساس نجد أن البديع قد نال قسطا وافرا من هذا النظم، حين راح أهله ينسجون منظومات بديعية تتناول في طياتها فنون البديع.

وفي هذا الإطار يصادفنا يحي بن معطي الزواوي بمنظومته البديعية الموسومة"البديع في علم البديع"، والتي لا نكاد نجد منظومة تحاكيها من حيث الانضباط العلمي والمنهج التعليمي القائم على المزاوجة بين القاعدة والتطبيق وهو بذلك ينفرد عن رجال البديعيات الذين اتخذوا المدح إطارا لمنظوماتهم البديعية.

ولإثراء هذا الموضوع، ارتأينا الاعتماد على المنهج التاريخي لرصد تطور مفهوم البديع عند البلاغيين العرب الأوائل، ثم عند أصحاب البديعيات وصولا إلى أبي معطي، لاستخلاص مدى إسهامه في الدرس البلاغي والبديعي من خلال منظومته البديعية.

وللإحاطة بجوانب هذا الموضوع قسّمنا بحثنا إلى مقدمة وفصلين وخاتمة، أشرنا في المقدمة إلى دواعي اختيار هذا موضوع والصعوبات التي واجهتنا في إنجازه.

وخصصنا الفصل الأول لبحث تطور مفهوم البديع عند البلاغيين العرب الأوائل، ثم وقفنا عند أصحاب البديعيات، ورصدنا صنيعهم بفنون البديع، وبخاصة حينما صاغوها في منظومات شعرية تعليمية.

أما الفصل الثاني فاقتصر على استجلاء فنون البديع في منظومة ابن معطي الزواوي، ولاستبيان منهجه في تأليف هذه المنظومة.

وختمنا بحثنا بتسجيل أهم النتائج التي توصلنا إليها.

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث هو صعوبة الوصول إلى بعض المراجع التي لها علاقة بالموضوع، وقد تكون منعدمة في بعض الأحيان نظرا لطبيعة الموضوع.

ولعل من أهم المصادر والمراجع التي أنارت لنا طريق البحث نذكر:"البديع في علم البديع" لابن معطي، و"علم البديع" لعبد العزيز عتيق.

ولقد بذلت غفي هذا البحث ما وسعني من جهد، وقد آزرني في ذلك أستاذي المشرف بتوجيهاته ونصائحه لإخراج هذا البحث في أفضل صورة ممكنة.

الفصل الأول

مفهوم ''البديع'' في البلاغة العربية

❖المبحث الأول:مفهوم ''البديع'' عند البلاغيين العرب

1. مفهوم "البديع" عند الجاحظ(ت255 هـ)
2. مفهوم "البديع" عند ابن معتز(ت296 هـ)
3. مفهوم "البديع" عند أبي هلال العسكري(ت395 هـ)
4. مفهوم "البديع" عند ابن رشيق القيرواني(ت464هـ)
5. مفهوم "البديع" عند عبد القادر الجرجاني(ت471 هـ)

❖المبحث الثاني: ''البديع'' في البديعيات

1. النظم العلمي
2. النظم البديعي
3. رواد البديعيات

المبحث الأول: مفهوم "البديع" عند البلاغيين العرب

1. مفهوم البديع عند الجاحظ(ت 255 هـ):

يعدّ الجاحظ أول من دوّن مصطلح"البديع"في الدراسات البلاغية، ناقلا إياها عن الكتّاب والشعراء. وهذا حين كان يجمع في كتابه "البيان والتبيين" الفوائد والخطب الرائعة والأخبار البارعة، وأسماء الخطباء والبلغاء مع بيان منازلهم في البلاغة والخطابة. وقد أشار في كتابه إلى طائفة من الشعراء المحدثين الذين شكلوا اتجاها اقترن باسم "البديع"، حيث يقول:"ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن:كلثوم ابن عمرو العتابي، وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من تكلف ذللا من شعراء المولدين مثل منصور النمري وسلم بن الوليد وأشباههما، وكان العتابي يحذو حذو بشار في البديع، ولم يكن في المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة". [1] فيبدو أن الجاحظ كان على وعي تام بمدلولات هذا المصطلح والذي ربما كان لديه بمثابة المعيار الذي يقيس به قيمة الشعر ويميز به الشعراء، لذلك نظن أنه قد استعمل هذا المصطلح استعمالا نقديا علميا.

ويظهر لنا أن الجاحظ كان يردد بالبديع الأسلوب الشعري، وذلك في قوله على ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع، فالقصد هنا هو التفنن في صياغة القول وتصويره. [2]

---

[1] عمرو بن بحر الجاحظ:البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط 4، 51/1

[2] محمد الواسطي:ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، ط 1، 2003 ص 32

ولا شك أن الشعراء الذين ذكرهم الجاحظ كانوا ينشئون الطباق والجناس والتشبيه والاستعارة شاعرين بطرافتها وقوتها وجمالها من غير أن يضعوا لها اصطلاحا علميا كذلك كان القرآن المثل الأعلى في هذا الاستعمال من قبل أن يعنى العلماء باستقصاء ووصف لأساليب البديع التي احتواها[1]. غير أن بعض هؤلاء الشعراء أدى بهم الاندفاع إلى الصراحة البديعية إلى درجة الإفراط، وادعى بعضهم الاختراع والابتداع لهذه الفنون.

يرى الجاحظ أن البديع هو صنيع أهل العربية لذلك نالت اللغة العربية منزلة رفيعة من بين اللغات وهو ما يعبر عنه بقوله:"والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان".[2]

وهذا لعلة أن البديع يكسب اللغة رونقا وجمالا فتيا، كما يتيح لها خاصية التفنن في إخراج المعاني من النفوس إخراجا بلاغيا، ما من شأنه أن يستميل المتلقي و يجذبه، وهو ما جعل هذه اللغة متفوقة ومتميزة عن غيرها، كما أن البديع في رأي الجاحظ يضفي على اللسان طلاقة وحلاوة.

ولا شك أن الجاحظ كان يفضل مصطلح "المثل" على مصطلح "البديع"، وهو ما نراه في تعليقه على بيت الأشهب بن رميلة حين يقول:

هم ساعد الدهر إلى تتقى به وما خير كف لا تنوء بساعد

[1] مختار عطية، علم البديع ودلالات الاعتراض في شعر البحتري، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الاسكندرية، 2004، ص 22

[2] الجاحظ:البيان والتبيين،55/4

"فقولهم:"هم ساعد الدهر" إنما هو "مثل"، وهذا الذي يسميه الرواة "البديع" [1]وهو يعني بذلك الصورة البلاغية المتمثلة في الاستعارة، حيث تمتاز هذه الاستعارة بتشخيص الدهر وتمثيله إنسانا قويا له ساعد [2]، فتناوله للبديع كان ضمنيا شمل فروع التشبيه، الاستعارة، والكناية، والجناس، والطباق[3]

وعلى الرغم من تداخل علوم البلاغة بعضها ببعض آنذاك، إلا أن الجاحظ كان بعيد النظر، وكان يمثل رؤية مستقبلية لعلوم البلاغة العربية وهذا ما نراه في قضية "المثل" و"البديع".

ويرى إبراهيم سلامة أن الجاحظ قد وسع دلالة مصطلح"البديع" ليشمل نكت بلاغية أخرى كالتجنيس والطباق والسجع والازدواج معتمدا في ذلك على شواهد أخرى أوردها الجاحظ في ثنايا كتبه، حيث احتوت هذه الشواهد على بعض الفنون منها: الجناس الاشتقاقي، والترديد، والتعطف وأغلب الظن أم هذه الشواهد تمثلت في أبيات الأشهب بن رميلة [4] وهذا ما كشفت بعض الدراسات في المجال البديعي.

[1] الجاحظ:البيان والتبيين، 54/4

[2] محمد الواسطي:ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين،ص 28

[3] المرجع نفسه:ص 33

[4] جميل عبد المجيد:البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د،ت)ص 13

2. مفهوم البديع عند ابن معتز(ت 296 هـ)

يعد ابن المعتز أول من قام بجهد علمي جاد في تأسيس البديع، ووضع المصطلحات العلمية لفنونه فأصبح كتابه "البديع" بمثابة حجر الأساس الذي ارتكز عليه البحث البلاغي بعد ذلك. ولا شك أن معظم من جاءوا بعده من البلاغيين قد اهتدوا للفنون التي ابتكرها، فرضوا عنها وزادوا عليها ما يمكن زيادته من هذه الفنون. نلاحظ أن كتاب "البديع" لابن المعتز يشتمل على علوم البلاغة الثلاثة:البيان والمعاني والبديع على الرغم من أن التسمية اقتصرت على فرع "البديع" ما يعني أن ابن المعتز كان ينظر إلى البلاغة على أساس فني جمالي.

والدليل على أن ابن المعتز له الأسبقية في ميدان"البديع" وعلى أن كتابه"البديع" هو أول منجز علمي في هذا المجال، قوله: "ما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني إلى تأليف مؤلف، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين"[1]

وقد قسم ابن المعتز كتابه إلى قسمين:أطلق على الأول اسم"البديع"وعلى الثاني اسم"محاسن الكلام والشعر"، ويستغرق القسم الأول معظم الكتاب، وعليه تقوم شهرته. [2]

نلاحظ أن ابن المعتز قد تناول في القسم الأول من كتابه الأصول الكبرى للبديع وهي خمسة:الاستعارة،والتجنيس، المطابقة، ورد الإعجاز على ما تقدمها والمذهب الكلامي [3] الذي أسنده إلى الجاحظ قائلا:"وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئا، وهو ينسب إلى

[1] عبد الله بن المعتز :البديع،تحقيق إغناطيوس كراتشوفسكي، مكتبة المثنى، بغداد، 1979، ص 58

[2] محمد الواسطي:ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين ص 34

[3] أحمد حسن المراغي:علم البديع،دار المعرفة الجامعية 1999 ص 13

التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا" [1] ، ورأينا في هذا الإسناد أن ابن المعتز كان على وعي بأن هذا الفن هو من صنيع فرقة المتكلمين والتي كان من أعلامها الجاحظ. كانت تتبنى العقل وإقحام الحجج والأدلة في أغلب المناظرات، وهذا بالفعل ما يتميز به فن المذهب الكلامي.

أما القسم الثاني من كتاب "البديع" فنراه يتطرق إلى محاسن الكلام، وينبه أهل البلاغة في الوقت نفسه أهل البلاغة أن لا يدعوا الإحاطة والإلمام بها، لأن هذه المحاسن كثيرة ومتعددة، وربما هذا راجع إلى التداخل و التشابك بين هذه المحاسن في نظره، وقد "تناول ما يقرب الثلاثة عشر نوعا في هذا القسم نذكر منها:

- الالتفات
- الاعتراض
- حسن التضمين
- حسن التشبيه
- الرجوع
- حسن الخروج من معنى إلى معنى
- التعويض وكناية
- لزوم ما لا يلزم
- تجاهل العارف

[1] ابن المعتز :البديع ص 53

- هزل يراد به الجد
- الإفراط في الصفة وهي المبالغة
- حسن الابتداءات
- تأكيد بما يشبه الذم[1]

وبهذه الألوان الثلاثة عشر يكون ابن المعتز قد جمع في كتابه "البديع" – بالإضافة إلى الأصول الكبرى– ما يقرب من الثمانية عشر لونا بديعيا.

وفي إشارة من ابن المعتز أن مصطلح "البديع" كان متداولا عند سابقيه يقول:"البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم.." [2]

وهو بذلك يكشف لنا أن البديع كان موجودا في أشعار الشعراء القدامى كممارسة عفوية، لكن هؤلاء الشعراء لم يكونوا على دراية بهذا الاسم ولم يعرفوا مدلوله.

وهذا ما يجعلنا نقول أن ابن المعتز قد كشف القناع عن هذا الأسلوب البلاغي أو بالأحرى العلم الثالث للبلاغة العربية.

[1] عبد العزيز عتيق:علم البديع ص 10

[2] عبد الله ابن المعتز :البديع ص 58

والملاحظ أن ابن المعتز لم يمنح محاسن الكلام من الاهتمام و العناية ما منحه لفنون البديع الخمسة التي أفرد لها حوالي تسعين صفحة من كتابه، بينما لم يخص محاسن الكلام الثلاثة عشر مجتمعة بأكثر من ثلاثين صفحة، بل لم يخص بعضها بأكثر من بضعة أسطر [1].

فالكتاب إذن ثمرة من ثمار المعركة الأدبية التي احتدمت بين أنصار القديم وأنصار الحديث في العصر العباسي، حيث ساعدت على بروز الفكر البلاغي والنقدي الذي من شأنه أن يضبط معالم البلاغة العربية ويحدد إطارها وقد أشار ابن المعتز في كتابه "أنه قد أورد ما وجده في القرآن الكريم واللغة وأحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم"[2].

وفي رأينا أن ابن المعتز كان يمثل قاعدة متينة في المجال الأدبي قد أسسها من خلال الاستقراءات الواسعة لما أورده في كتابه –والسابق ذكرها– وهذا ما كون وشكل له تراكمات معرفية جمة ساعدته في تأليفه لهذا الكتاب الرائد.

ويذكر ابن المعتز أنه ألف القسم الثاني من كتابه لهدفين: الأول أن تكثر فوائد كتابه للمتأدبين وهو هدف تعليمي تربوي، أما الثاني فهو نفي الجهل والقصور وهو بمثابة الدفاع عن كتابه من طرف المنتقدين.[3]

---

[1] – علي عشري زايد:البلاغة العربية تاريخها، مصادرها، مناهجها، مكتبة الأدب، ميدان الأوبرا، القاهرة ط 7، 2009، ص 82

[2] المرجع نفسه ص 80

[3] محمد الواسطي: ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين ص 38

أما فيما يخص الفنون الخمسة ومحاسن الكلام التي أوردها ابن معتز، يرى صاحب "تحرير التعبير" أنها أصول وقد فرع البلاغيون منها فروعا وفنونا بديعية أخرى، وهذا ما يثبت أنه المؤسس الأول لعلم البديع[1]

ولا شك أنه كان يملك المنهجية الدقيقة المحكمة في التعامل مع كل فن من الفنون البديعية، وهذا ما يتجسد بالفعل في تعريفه للفن البديعي تعريفا دقيقا يتسم بالاختصار والإيجاز، ثم يلحق هذا التعريف بالشاهد الذي يناسبه من القرآن أو الحديث أو الشعر، وهذا عمل مبني على الدراسة والتطبيق.

3. مفهوم "البديع" عند أبي هلال العسكري(ت 395 هـ)

يعد أبو هلال العسكري من البلاغيين الأفذاذ الذين كان لهم الأثر في بناء معالم البلاغة العربية وترتيب علومها وفروعها، فمعظم الدراسات تشير إلى تفوقه في ميدان الأدب وعلوم العربية. حيث ذاع صيته في صنعة الشعر والبلاغة والتفسير والنقد.

ولا شك أن من أشهر الكتب التي وصلت إلينا من أبي هلال العسكري هو كتاب الصناعيين–الكتابة والشعر–، فبهذا المؤلف نال العسكري الفضل والسبق في معالجة منحة الشعر.

[1] محمد الواسطي:ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين ص 38

ونلاحظ أن هذا المؤلف هو أول كتاب بدت فيه مباحث علوم البلاغة الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع، والتي بدأت تستقر في أذهان المتأخرين ممن جاؤوا بعده.

لقد نال البديع حيزا واسعا من الدراسة في هذا الكتاب، حيث نجد أبو هلال يعقد فيه بابا خاصا من أجل معالجة مسائل البديع وابتكار فنون جديدة تثري مجالاته، لذا نرى أنه تناول في هذا الباب ما يقرب عن ست وثلاثين لونا "من ألوان البديع منتهجا في ذلك الترتيب والتصنيف البارع لهذه الأنواع ومن بين الفنون البديعية التي ابتكرها وأضافها إلى ما أورده المتقدمون نجد ستة أنواع: التشطير، والمحاورة، والتطريز، والمضاعف، والاستشهاد، والتلطف" [1] ، وهو ما أشار إليه في كتابه بقوله:" وزدت على ما أورده المتقدمون ستة أنواع:التشطير..." [2] ،كما لمح إلى زيادة نوع سابع أطلق عليه اسم المشتق.

ولا شك أن أبا هلال العسكري قد عقد لكل نوع من هذه الأنواع فصلا خاصا به يتطرق فيه إلى شرح هذا الفن شرحا وافيا، وجاء في الباب العاشر من الكتاب نوعين آخرين هما حسن الابتداءات، والاشتقاق [3] ، وفهمنا من هذين المصطلحين أن أبا هلال كان لديه قدرة وحس مرهف على اكتشاف فنون بلاغية ربما غابت عن السابقين وهذا نتيجة اطلاعه المتواصل على مختلف المصنفات السابقة في مجال البلاغة.

[1] عبد العزيز عتيق:علم البديع ص 23

[2] أبو هلال العسكري:الصناعيين ص 267

[3] عبد العزيز عتيق:علم البديع ص 22

ونجد أبو هلال العسكري يتفق مع ابن المعتز وقدامة في بعض الفنون البديعية وهي الطباق، والمبالغة، والرد الإعجاز على الصدور، والالتفات[1] .

كما نجده يعتبر"التذييل" نوعا بديعيا مع العلم أنه من أساليب الإطناب الذي هو أحد أبواب علم المعاني، وهو بذلك يجاري ابن المعتز وقدامة في اعتبار الاعتراض من البديع علما أنه – أيضا– من أساليب المعاني.

ونرى أن البديع عند أبي هلال العسكري قد شهد تطورا ملحوظا ودفعا قويا، وتجلى ذلك في إضافته وابتكاره لفنون جديدة من شأنها أن تثري الدري البديعي وتغذيه.

4. مفهوم البديع عند ابن رشيق القيرواني(ت 456 هـ)

يعد ابن رشيق من أبرز البلاغيين الذين تناولوا علم البديع وخاضوا في مسائله، ولعل أبرز مؤلف في هذا المجال هو كتاب "العمدة" الذي تعرض فيه إلى مجموعة كبيرة من فنون البديع بالذكر والشرح، حيث يتألف هذا الكتاب من جزأين يضمان نحو مائة باب يحاول من خلالها الوقوف على أساليب صناعة الشعر ووسائله البيانية والبديعية، وبذلك يعتبر هذا الكتاب بمثابة مادة ضخمة في ميادين البلاغة والنقد معا.

ويستهل ابن رشيق كلامه عن البديع بباب يعرف فيه كلا من المخترع والبديع من الشعر، ويفرق بينهما، ثم ينتهي بذكر اول من قام بجمع البديع.

[1] عبد العزيز عتيق ص 23

فالمخترع من الشعر عنده هو: ما لم يسبق إليه قائله، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه، ويقرر أن أول الناس اختراعا للشعر هو امرؤ القي وأن له في شعره اختراعات كثيرة أورد نماذج منها، ومن الشعراء المخترعين عنده أيضا طرفة بن العبد [1].

ثم يستطرد فيقول: "وما زالت الشعراء تخترع إلى عصرنا هذا وتولد، غير ان ذلك قليل من الوقت" ثم يعرف التوليد فيقول:"والتوليد هو أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه، أو يزيد فيه زيادة، فلذلك يسمى التوليد، وليس باختراع لما فيه من الاقتداء بغيره، ولا تقال له أيضا "سرقة" إذا كان ليس آخذا على وجهه" [2].

الفرق عنده بين الاختراع والإبداع هو أن الاختراع:خلق المعاني التي لم يسبق إليها، والإثبات بما لم يكن منها قط، وأن الإبداع:إثبات الشاعر بالمعنى المستظرف، والذي لم تجر العادة بمثله، ثم لازمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثر وتكرر، صار الاختراع للمعنى والإبداع للفظ، ثم ينتقل بالكلام إلى علم البديع بأنه ضروب كثيرة وأنواع مختلفة، وأنه سوف يذكر منه ما وسعته القدرة[3].

وأما الألوان البديعية التي أوردها ابن رشيق في كتابه "العمدة"، فتبلغ تسعة وعشرين، منها عشرون نوعا سبقه إليها ابن المعتز وقدامة وأبو هلال العسكري، أما الألوان التسعة الباقية

[1] عبد العزيز عتيق:علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت ص 26

[2] ابن رشيق القيرواني:العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط 64 دار المعرفة، بيروت 232/1،1972

[3] عبد العزيز عتيق:علم البديع ص 27

والتي لم يرد لها ذكر عند رجال البديع السابقين فهي: التورية، والترديد، والتفريع، والاستدعاء، والتكرار ونفي الشيء باجابه، والإطراد، والاشتراك، التخابر .فتنسب إلى ابن رشيق، باعتباره هو من زادها على ما أورده المتقدمون وإن لم يشر إلى ذلك كما فعل أبو هلال العسكري[1].

وتتميز دراسة ابن رشيق لما ذكره من فنون البديع بأنها أكثر تفصيلا وتدقيقا ويتجسد ذلك حين يقوم بتعريف الفن البديعي ثم يتبعه بالأمثلة والشواهد من منظوم الكلام ومنثوره.

كما نلاحظ في المصطلحات أنه إذا آثر مصطلحا بعينه لفن بديعي فإنه يذكر اسمه الآخر عند هذا أو ذاك ممن سبقوه إلى البديع، ففي كلامه عن "الاستثناء" يقول: وابن المعتز يسميه توكيد المدح بما يشبه الذم، وفي كلامه عن "المطابقة" يقول: وسمى قدامة هذا النوع الذي هو المطابقة عندنا–التكافؤ...ولم يسميه التكافؤ أحد غيره، في "الالتفات" يقول:وهو الاعتراض عند قوم وسماه لآخرون الاستدراك.[2]

وهكذا فإن ابن رشيق قد انفرد عن السابقين في علم البديع بإضافة تسعة فنون جديدة من شأنها أن تساهم في اتساع رقعة البديع.

5. مفهوم البديع عند عبد القادر الجرجاني(ت 471 هـ):

[1] عبد العزيز عتيق:علم البديع ص 28

[2] المرجع نفسه،ص 28

يعد الإمام عبد القادر الجرجاني من أبرز المؤسسين للبلاغة العربية والمشيدين لأركانها ومن أشهر المؤلفات التي نال بها شهرة واسعة نذكر:كتاب "دلائل الإعجاز"، وكتاب "أسرار البلاغة" مؤسسا بذلك نظريتين في علم البيان وعلم المعاني.

إن المتصفح لكتابيه السابقين"الدلائل" و "الأسرار" يرى أنه لم يحاول فيهما وضع نظرية في علم البديع، كما فعل بالنسبة لعلمي المعاني والبيان، وأنه فعل ذلك لأعفى أصحاب البديع من توزع مباحثهم، ومع ذلك فقد تكلم في "أسرار البلاغة" عن ألوان من البديع هي:الجناس، السجع، وحسن التعليل، مع الإشارة أحيانا إلى الطباق والمبالغة [1].

وحديثه في هذه عن هذه المحسنات ليس لأغراض بديعية بمقدار ماهو لأغراض بيانية، وتفصيل ذلك أنه يحاول الوصول إلى نظرية تأبى أن تكون الألفاظ مزية ذاتية في الكلام. فالشأن دائما للتراكيب وصورة نظمها وتأليفها. لكي يقيم على ذلك الدليل الذي لا يدحض عرض الجناس والسجع من فنون البديع، راح يثبت أن الجمال فيهما لا يرجع إلى جمال الألفاظ من حيث هي، وإنما يرجع إلى ترتيب المعاني في الذهن ترتيبا يؤثر في النفس ويضرب لذلك مثلا من أمثلة الجناس وهو قول "أبي الفتح البستي":

ناظراه فيما جن ناظراه أو دعاني أمت بما أودعاني

[1] عبد العزيز عتيق:علم البديع ص 30

ويعلق عليه بقوله: "قد أعاد–الشاعر–عليك اللفظ، كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك، وقد احسن الزيادة ووفاها.فبهذه السريرة صار التجنيس، وخصوصا المستوفى منه المتفق في الصورة من حلي الشعر، ومذكورا من أقسام البديع" [1]

فجمال الجناس عنده في مثل بيت أبي الفتح البستي يرجع إلى المفاجأة، وأن الكلمة ترى كأنها لا تعطيك شيئا جديدا وهي في الحقيقة تعطي كثيرا، وبذلك يؤثر الجناس بما فيه من خداع وخفاء لا يلبث أن ينكشف، ومن ثم عدة من حلى الشعر وذكر في أقسام البديع، وكل هذا يرجع إلى المعنى النفسي لا إلى اللفظ، ويضرب مثالا للجناس الناقص قول أبي تمام:

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

ويعقب عبد القادر بأن تأثير الجناس ينبعث من المعنى النفسي أيضا،فإن السامع يتوهم قبل أ، يرد عليه الحرف الأخير في كلمتي"عواصم،وقواضب" أن الكلمتين السابقتين لهما ستعودان ثانية، ومن هنا يأتي التأثير،يقول:"تعود إليك الكلمة مؤكدة حتى إذا تمكن في نفسك تمامها،ووعي سمعك آخرها،انصرفت عن ظنك الأول، وزلت عن الذي سبق من التخيل، وفي ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها، وحصول الربح بعد أن تغالط فيه حتى ترى أنه رأس المال" [2].

[1] عبد القادلر الجرجاني أسرار البلاغة–تحقيق محمد عبده ومحمد الشنقطي،دار المنار، القاهرة ص 6

[2] عبد القادر الجرجاني:اسرار البلاغة ص 13

وعن السجع يورد عبد القادر أمثلة للحسن منه كقول القائل: "اللهم هب لي حمدا،وهب لي مجدا، فلا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال"

ومثل قول الفضل بن عيسى الرقاشي: سل الأرض،فقل:من شق أنهارك،وغرس أشجارك، وجنى ثمارك، فإن لم تجبك حوارا،أجابتك اعتبارا، ثم يذكر أنه ليس هنا لفظ اجتلب من أجل السجع.

وعلى هذا الأساس فالجناس أو السجع عنده لا يكتسب صفة القبول أو الحسن حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، بحيث لا تبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حولا، أي أن المعنى هو الذي يقود المتكلم نحو الجناس والسجع لا أن يقود المعنى إليهما [1].

وفي معرض البحث عن السرقات الشعرية،تكلم عبد القادر عن التحليلات الخيالية التي يسوقها الشعراء في أشعارهم والتي أطلق عليها البلاغيون اسم"حسن التعليل" [2]كقول القائل:

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيّةُ الجَوْزَاءِ خِدْمَتِهِ لَمَا رَأَيْتَ علَيْهَا عَقْدَ مُنْتَطِقِ

وإجمال القول أن عبد القادر لم يتوسع في البديع مثلما هو الحال بالنسبة للمعاني والبيان ولكنه تناول بعض الفنون البديعية في كتاب "أسرار البلاغة" وهذا في سياق حديثه عن الألفاظ مزيتها في الكلام.

المبحث الثاني: مفهوم البديع في البديعيات:

[1] علم البديع ض 31

[2] علم البديع:ص 31

1. النظم العلمي:

اتجه العلماء إلى تأليف المنظومات العلمية حين أدركوا ما في طبائع الإنسان من ميل غريزي إلى استيعاب المنظوم واستظهاره على نحو يفوق استيعابهم المنثور واستظهارهم إياه. ومن ثم شهد نظم العلوم انعكاسا ظاهرا لرغبة العلماء في حفظ العلم وذيوعه وتداوله. وربما كان الهنود من أقدم الذين شغفوا بالنظم العلمي، وبلغت عنايتهم به أن تخيروا له أوزانا خاصة تمتاز بسهولتها وسرعة حفظها. وهو ما يشير إليه البيروني قائلا:"وكتبهم في العلوم منظومة بأنواع من الوزن في ذوقهم"[1].

أما اليونان، فقد ظهر الشعر التعليمي عندهم في القرن الثامن الهجري على يد مجموعة من الشعراء الذين نظموا بعض الحكم والأمثال واهتموا بسرد الأنساب ووضع التقاويم الدينية وكتابة الأمثال العلمية التي تنفع الناس وتعلمهم.

وقد بلغ الشعر التعليمي الذروة من حيث غزارة الإنتاج والتقنية الفنية ذاتها لدى الرومان من أمثال "آراتيوس" صاحب قصيدة "الظواهر" التي قدم فيها أبحاثا فلكية مصاغة في الوزن الثلاثي[2].

أما الفرس، فإن أظهر ما بأيدينا من نظمهم التعليمي قبل الإسلام مجموعة من الأدعية والأشعار الأخلاقية التي تعرف باسم "الكاتا"، وهي منظومة من أقدم اللغات الفارسية. [1]

---

[1] يحي ابن معطي:البديع في علم البديع،تحقيق محمد مصطفى أبو شوارب، دار الوفاء لدنيا الطباعة،الاسكندرية،ط 1، 2003 ص 28

[2] يحي ابن معطي:البديع في علم البديع(مقدمة المحقق مصطفى أبو شوارب) ص 29

ويذهب "شوقي ضيف" إلى أن نشأة المنظومات التعليمية في التراث العربي ترجع إلى القرن الأول الهجري إذ "عُدَّ "الطرماح بن الحكيم" و الكميث بن زيد" من أوائل الشعراء العرب التعليميين.فيها نظما من الشعر أريد قبل كل شيء تعليم اللغة بغرائبها وأوابدها" [2].

ثم جاء تطور هذا اللون من الشعر التعليمي ونضجه في ذلك العصر متمثلا في مثون رؤبة بن العجاج التي أصبحت الأرجوزة منها تؤلف من أجل حلجة المدرسة اللغوية وما تريده من الشواهد والأمثال، والأرجوزة الأموية من هذه الناحية تعد أول شعر تعليمي في اللغة العربية.

ويذكر الجاحظ أن صفوان الأنصاري كان من أوائل الذين ارتادوا هذا الفن حين نظم قصائده عن معادن الأرض وكنوزها، غير أن أبان بن عبد الحميد اللاحقي كان صاحب الدور الأكبر في شيوع المنظومات التعليمية بما نظم في التاريخ، والفقه(أحكام الصوم والزكاة) وفي القصص(كتاب كليلة ودمنة). [3]

وقد استهوت هذه المنظومات شاعرا كبيرا كأبي العتاهية، فنظم على نمطها مزدوجة سماها "ذات الأمثال"، ثم خطا محمد بن إبراهيم الفرازي خطوة أبعد في طريق العلمية، حين نظم مزدوجته الطويلة في علم النجوم، والتي بلغت عشر مجلدات. [4]

---

[1] المصدر نفسه ص 29

[2] شوقي ضيف:التطور في الشعر الأموي، دار المعارف، ط 8، 1987، ص84

[3] يحي بن معطي: البديع في علم البديع، ص 29 (مقدمة المحقق مصطفى أبو شوارب)

[4] المصدر نفسه ص 30

ولقد رصد الجاحظ في كتابه "الحيوان" تلك المحاولات التي أنتجها الشعراء والعلماء العرب في صياغة المنظومات التعليمية، فأشار إلى إسهامات الأصمعي في المنظومات التاريخية، وسعدان الأعمى الشبيطش وبشر بن المعتمر في المنظومات الكلامية، والحكم بن عمرو البهراني في المنظومات العلمية.

وما أن نصل إلى القرن الثالث الهجري حتى يشهد فن المنظومات التعليمية تقدما واضحا نجد آثاره ظاهرة عند علي بن الجهم في منظومته التاريخية التي جعلها على جزأين: الأول في بدء الخليقة وقصص الأنبياء وفجر الإسلام وضحاه، والثاني في تاريخ خلفاء بني العباس.

وكذلك عبد الله بن المعتز الذي نظم سيرة المعتضد بالله العباسي في مزدوجة طويلة تقع في نحو أربعمائة بيت أشاد فيها بالمعتضد وأعماله.[1]

أما العلوم العربية فقد عرفت طريقها إلى المنظومات التعليمية على يد أبو بكر بن دريد، وكانت الغاية فيها تعليم اللغة العربية وتيسيرها للحفظ. ومن أشهر قصائده، قصيدتان تعليميتان، إحداهما في المقصور والممدود، الأخرى في الغريب.[2]

ويؤلف الحريري صاحب المقامات منظومة "ملحة الإعراب"،وكذلك ابن المعطي يؤلف منظوماته في النحو واللغة وأهمها "الدرة الألفية في علم العربية" وهي ألفية النحوية التي باراه فيها ابن مالك صاحب الألفية الشهيرة.[1]

---

[1] يحي بن معطي: البديع في علم البديع(مقدمة المحقق أبو شوارب) ص 30

[2] المصدر نفسه ص 31

ويظهر من خلال ما عرضناه أن فن المنظومات التعليمية في ذلك العصر كان غاية مقصودة يصبو إليها كل عالم، نظرا لما تتيحه من سهولة وتيسير في حفظ العلوم.

2. النظم البديعي:

إذا كانت علوم النحو واللغة قد عرفت طريقها إلى فن المنظومات التعليمية في القرن الرابع الهجري فإن محاولة نظم الفنون البلاغية وصياغتها في إطار الشعر التعليمي قد تأخرت إلى القرن السابع الهجري حين ظهرت القصائد المادحة المعروفة باسم البديعيات. [2]

وقد اختلف الباحثون في تاريخ المنظومات البديعية حول أسبقية النظم البديعي، وتباينت آراؤهم فيما يتصل بأول من صاغ معارف "علم البديع" في منظومة شعرية. [3]

فذهب زكي مبارك إلى أن ابن جابر الأندلسي هو اول من سبق إلى هذا اللون من التأليف البديعي في معارضته بُردَة البوصيري التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم:" وقد تجلت هذه المعارضة في ابتكار فن جديد ألا وهو البديعيات وذلك أن تكون القصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن بيت من أبياتها يشير إلى فن من فنون البديع". [4]

ويرى علي أبو زيد أن صفي الدين الحلي العراقي أسبق من ابن جابر إلى هذا الفن معتمدا في ذلك على جملة من الحجج والدلائل، أهمها أن صفي الدين الحلي توفي قبل ابن جابر

---

[1] نفس المصدر ص 31

[2] يحي بن معطي:البديع في علم البديع(مفقدمة المحقق أبو شوارب) ص 31

[3] المصدر نفسه ص 32

[4] زكي مبارك:المدائح النبوية في الأدب العربي،دار الشعب القاهرة 1971 ص 169

بتسع وعشرين سنة، ويذهب بعض الباحثين إلى أن الأسبقية في هذا المجال تعود إلى الأريلي باعتباره أول من ألف منظومة في علم البديع.

ولقد أشار شوقي ضيف إلى ملاحظة أنه قد فات هؤلاء الدارسين المعاصرين التحقيق إلى أن أقدم منظومة بديعية سبقت ما ذكرناه من المؤلفين في مجال البديعيات هي منظومة يحي بن معطي الزواوي، وهذا بحساب عنصر الزمن، كما أهمل هؤلاء الدارسون منظومة أخرى تقع في سبعمائة بيت لشرف الدين حسين بن سلمان الطائي وقد ذكرها حاجي خليفة باسم "زهر الربيع في علم البديع"[1].

ويعد القرن الثامن الهجري عصر التأسيس بالنسبة للبديعيات، حيث تأخذ المنظومة البديعية شكلها الأساسي وتتحدد ملامحها العامة منذ أن نظم صفي الدين الحلي قصيدة "الكافية البديعية في المدائح النبوية" "وكثر بعد الحلي الالتجاء غلى معارضة البردة في البديعيات إلى أن شاع بين كثير من الباحثين والدارسين أن جميع البديعيات كانت في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من بحر البسيط وقافية المتراكب وعلى روي الميم المكسورة" [2]حتى نبه "أحمد إبراهيم موسى" إلى عدم دقة هذا الاعتقاد الشائع بأن: "أصحاب البديعيات لم يكونوا كلهم مسلمين،بل كان منهم مسلمون، ومنهم مسيحيون، فالمسيحيون كان غرضهم تمجيد عيسى عليه السلام والرسل الأطهار.." [3] وعلى الرغم من تعدد البديعيات وكثرتها، إذ وصلت إلى ما يقرب تسعا

[1] يحي ابن معطي:البديع في علم البديع(مقدمة المحقق أبو شوارب) ص 32

[2] يحي ابن معطي:البديع في علم البديع(مقدمة أبو شوارب) ص 34

[3] أحمد موسى إبراهيم:الصبغ البديعي في اللغة العربية،دار الكتاب العربي،القاهرة 1909 ص 370

وتسعين بديعية، فلقد تحددت مراحل تطور هذا اللون من النظم البديعي في ثلاثة أطوار:

فالطور الأول هو طور الاختراع وقد كان ذلك على يد السليماني في قصيدته البديعية التي نظمها على بحر الخفيف في المدح وعلى روي اللام. وأما الطور الثاني فكان على يد صفي الدين الحلي فقد نظم بديعيته على بحر البسيط وعلى روي الميم

المكسورة وفي مدح النبي صلى الله عليه وسلم جاعلا كل بيت منها مثالا لكل نوع من البديع او أكثر، أما الطور الثالث،فقد كان على يد عز الدين الموصلي، فقد حاكى صفي الدين فيما منع وأربى عليه بالتزام التورية باسم النوع البديعي،فذهب بهذا الفن إلى ابعد غايات التكلف والثقل حتى لم يستطع مجاراته إلا القليل من أصحاب البديعيات. [1]

ونلاحظ أن جل الدارسين البلاغيين للبديعيات قد أغفلوا الإشارة إلى منظومة يحي ابن معطي، على الرغم من أنها أقدم منظومة بديعية في تاريخ النظم البديعي، وهذا في رأينا مرده إلى أنهم اهتموا بالمنظومات ذات الطابع المدحي الذي يدور على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم،وهذا لا نجده بطبيعة الحال في منظومة يحي ابن معطي لأنها منظومة تعليمية بحتة تتناول فنون البديع بالتفصيل. وعلى الرغم من هذا فإن الفضل يعود إلى "شوقي ضيف" في إشارته إلى هذه المنظومة.

3. رواد البديعيات:

3-1 يحي بن معطي الزواوي(ت 628 هـ)

تشير بعض الدراسات إلى أن منظومة يحي بن معطي من أقدم المنظومات البديعية التي وصلت إلينا. وعلى نحو ما مر بنا من قبل فإن الباحثين اتفقوا على أن البديعية هي قصيدة مديح، غالبا ما تكون في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وغالبا ما تكون على بحر بسيط. ومن قافية المتراكب، وهي الميم المكسورة، ويقوم كل بيت منها شاهدا على الفن

[1] يحي ابن معطي: البديع في علم البديع (ضمن تقديم المحقق أبو شوارب) ، ص . 38

البديعي الذي يمثله مع التزام بعض هذه البديعيات بالتورية باسم الفن البديعي في لفظ البيت الذي يتضمن معناه، غير ان منظومة ابن معطي لها مميزات خاصة في بنيتها على مستوى الشكل والمضمون قد تخرج عن إطار المديح. إن بديعية ابن معطي سبعة وتسعين ومائتي بيت(297) منها أربعة وأربعون ومائة بيت(144) من نظم ابن معطي، وثلاثة وخمسون ومائة بيت(153)من الشواهد الشعرية الذائعة في مصنفات البلاغيين [1].

ويتناول ابن المعطي في منظومته ثمانية وأربعين فنا بديعيا، دون أن يلتزم فيها بحرا واحدا، ولا قافية واحدة بل استعمل ثمانية أبحر، ولعل أن ابن المعطي قد اعتمد في بناء منظومته البديعية على البنية الإيقاعية للشواهد البلاغية التي يتمثل بها في منظومته من حيث الوزن والقافية والروي.

وتكمن قيمة منظومة ابن معطي في القدرة الفائقة على المزاوجة بين التنظير والتطبيق في سياق تعليمي، ينجح إلى حد بعيد في تحقيق أهداف النظم العلمي.

كما يرتكز نهج ابن معطي بصورة أساسية على تقديم المصطلح البديعي وحشد الشواهد الشعرية التي تمثل تحققه الإبداعي.

ومصطلح أبيات هذه المنظومة كالآتي:

"يَقُولُ اِبْنُ مُعْطَى:قُلْتُ لا مُتَعَاطِيَ ... مَقَالَةَ مَنْ يَرْجُوَ الرِضَا والمَغَانِيَا

بَدَأْتُ بِحَمْدِ الْلَّهِ نَظْمِي مُسْلِمًا ... عَلَى أَحْمَدَ الهَادِي إِلَى اللَّهِ دَاعِيَا

[1] يحي بن معطي:البديع في علم البديع(ضمن تقديم المحقق أبو شوارب) ص 40

وبَعْدُ فَإِنِي ذَاكِرٌ لِمَنْ ارْتَضَى بِنَظْمِي العَرُوضِ المُعْتَلَى والقَوَافِيَا

أَثَبْتُ بِإِثْبَاتِ البَدِيعِ شَوَاهِدَا أَضُمُ إِلَيْهَا فِي نَظِمِي الأَسَاسيَا" [1]

وذهب بعض الدارسين إلى القول بأن هذه المنظومة كانت منظومة في علم العروض لا في علم البديع كما يقول السيوطي: "ونظم كتاب الجمهرة لابن دريد،والمثلث في اللغة ونظم كتابا في العروض"[2]

وأغلب الظن أن مرجع ذلك الخلط إلى قول ابن معطي في ثالث أبيات منظومية ورابعها "بنظمي العروض" بحيث يشير إلى علم العروض

ولا شك ان الذي يثبت أنها في علم البديع ما جاء في ختام المنظومة إذ فيها "ثم البديع في علم البديع.والحمد لله رب العالمين" كما نجد أن بهاء الدين السبكي نذكرها بين مصادره التي عول عليها في كتابه الشهير"عروس الأفراح...شرح تلخيص المفتاح" تحت عنوان النظم في علم البديع.أما خير الدين الزر كلي فيسرد المنظومة ضمن مصنفات ابن معطى تحت عنوان:"البديع في صناعة الشعر."[3]

3-2 أمين الدين علي بن عثمان الأريلي

[1] ابن معطي:البديع في علم البديع ص 91

جلال الدين السيوطي:بغية الدعاة في طبقات اللغويين والنحاة،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،مكتبة المشهد الحسيني القاهرة 1975، 344/2 [2]

[3] يحي ابن المعطي: البديع في علم البديع(المحقق أبو شوارب)ص 32

يرى بعض الباحثين أن الأريلي له الأسبقية في النظم البديعي باعتباره صاحب أول منظومة بديعية فهذا ابن معصوم يقول:"كنت أظن أن أول من نظم البديع على هذا الأسلوب هو صفي الدين الحلي،حتى لامية له نظم البديع على بن عثمان السليمان الاريلي...على قصيدة لامية له نظم فيها جملة من أنواع البديع...فإن الشيخ المذكور توفي قبل أن يولد الشيخ صفي الدين بسبع سنين".وهو ما يذهب إليه شوقي ضيف مؤكدا على أن الأريلي أول من فتح الطريق إلى هذا الاتجاه وكانت قصيدة الأريلي في مدح أحد معاصريه.وقد وضعها بحيث يعرض في كل بيت من أبياتها فنا من فنون البديع. ومن الأسف أن القصيدة نالتها يد الضياع ولم يتبق منها غير ما حفظ "ابن شاكر الكتبي" في "فوات الوفيات" ومطلع أبياتها:

بَعْضَ هَذَا الدّلالِ والإِدْلاَلِ حَلِي الهَجْرُ وَالتَجَنُّبُ حَالِي [1]

3-3 صفي الدين الحلي(ت 750 هت):

للحلي ثاني بديعية بعد الأريلي، وبديعية الحلي قوامها مائة وخمسون بيتا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم،وهي من بحر البسيط،نسجها على منوال البوصيري وزنا وقافية ومضمونا، وسماها الكافية البديعية في المدائح النبوية ومطلعها:

[1] يحي ابن معطي:البديع في علم البديع(المحقق أبو شوارب ص 33

إن جئتَ سَلَماً فَسَلْ عَنْ جيرَة العَلَمِ واقْرَ السَّلامَ على عُرْب بذِي سَلَمِ

وتشتمل بديعية الحلي على مائة وخمسة وأربعون نوعا من المحسنات البديعية، والخمسة أبيات الأولى منها في الجناس احصت منه اثني عشر نوعا، وطلع القصيدة يحتوي على حسن الابتداء أو براعة الاستهلال وفيه أيضا الجناس(سلام وسَلَمِ) و(عَلَم وسَلَمِ).

وتختلف بديعية صفي الدين عن سابقتها بديعية الأريلي في أن الحلي لا يلتزم فيها بذكر النوع البديعي إزاء كل بيت تجنبا للتعقيد واكتفاء بالمثال، وقد شرح عبد الغني النابلسي بديعية الحلي، وسمى الشرح(الجوهر السني في شرح بديعية الحلي). [1]

3-4-ابن الجابر الأندلسي(ت 780 هـ):

له بديعية ميمية القافية، بحرها من البسيط، واسمها (الحلة السِّيرَا في مدح خير الورى)،انتهج فيها نهج بديعية الحلي وتتألف بديعية ابن جابر من مائة وعشرين بيتا، يقول مطلع البديعية:

[1] محمود أحمد حسن المراغي:علم البديع، دار المعرفة الجامعية 1999، ص 34

بِطِيبَةَ اِنْزِلْ وتَمِّمْ سَيِّدَ الأُمَمِ وانْثُرْ لَهُ المَدْحَ وانْشُرْ أَطْيَبَ الكَلِمِ.

وشارح البديعية أبو جعفر، يشير في مقدمة شرحه إلى أن ابن جابر الأندلسي التزم في بديعيته بمنهج الخطيب القزويني في التلخيص والادماج، وهو يسرد القصيدة المحسنات البديعية التي قصر القصيدة عليها دون خلطها بغيرها من ألوان البديع، ولم يذكر ابن جابر اسم المحسن البديعي في كل بيت، وهو بذلك يجاري بديعية الحلي، غير أنه اقتصر على ما يقرب ستين فنا من فنون البديع مقدما المحسنات اللفظية على المعنوية.

3-5-عز الدين الموصلي(ت 789 هت):

لقد اقتفى الموصلي اثر الحلي في النظم البديعي وتبدأ بديعيته بقوله:

بَرَاعَةٌ تَسْتَهِلُ الدَمْعَ في القَلَمِ عِبَارَةٌ عَنْ نِدَاءِ المُفْرَدِ العَلَمِ

وتقع هذه البديعية في مائة وخمسة وأربعين بيتا يعارض بها بديعية الحلي غير أنه يذكر مسمى النوع البديعي في كل بيت بالتورية أو الاستخدام. وللموصلي بديعية أخرى لامية، التزم فيها بوزن قصيدة كعب بن زهير(بانت سعاد).

وهكذا يظهر لنا اسهام بيئة الشام في توسيع رقعة البديعيات في القرن الثامن الهجري على يد الموصلي وهذا من خلال تميزه عن باقي الناظمين بحيث حرص على التزام التورية باسم النوع البديعي في البيت[1]

3-6-ابن حجة الحموي(ت 837 هـ):

بعد انقضاء القرن الثامن الهجري وحلول القرن التاسع وما يليه، ظل البديع ومعظم دراساته بنفس الطريقة المتمثلة في النظم، وسمى التزام هذا المنهج النظمي في دراسة البديع آنذاك ابن حجة الحموي بحيث نجد بديعيته المشهورة التي قوامها مائة واثنان وأربعون بيتا يقول مطلعها:

لِي في ابْتِدَا مَدْحِكُمْ يَا عُرْبَ ذِي سَلَمِ بَرَاعَةً تَسْتَهِلُ الدَمْعَ في القَلَمِ

والبديعية من المدائح النبوية،يُضَمِّنُ فيها ألفاظ كل بيت ما يشير إلى النوع البديعي، مقتديا في ذلك بالموصلي،غير أنه خلط فيها بين اللفظي والمعنوي دون ما قل أو تحديد، ولعل صعوبة تطويع أسماء بعض الأنواع البديعية للنظم جعله يخالف من سبقوه في سمعيات بعض الأنواع في بديعيته.

وربما شعر ابن حجة بذلك فقام بشرح بديعيته شرحا مسهبا في كتاب أطلق عليه☹خزانة الأدب) فكان مضمونه محققا لعنوانه لما احتواه من علوم ومعارف متنوعة،

[1] حسن المراغي: علم البديع ص 35

تؤيدها الشواهد والأمثلة مما جعل هذا الشرح خزانة أدب وبلاغة ونقد وتاريخ وتراجم، مع المنظوم والمنثور.[1]

3-7-السيوطي(911هـ):

له بديعية سماها (نظم البديع في مدح خير شفيع) أراد بها محاكاة بديعية الحموي، فوضع لها شرحا يبين فيه معالم البديع، وقد تميز هذا الشرح بالإيجاز ومطلعها:

بَيْنَ العَتِيقِ ومنْ تِذْكَارِ ذَي سَلَمِ بَرَاعَةً تَسْتَهِلُ الدَّمْعَ في العَلَمِ

وتعتبر هذه البديعية من أشهر البديعيات في الثرات البلاغي.

3-8-عائشة الباعونية(922 هـ):

نظمت هذه الشاعرة بديعية سمتها (بالفتح المبين في مدح الأمين) ونسجتها على منوال ابن حجة الحموي، مع عدم تسمية النوع البديعي تمسكا بطلاقة الألفاظ، وانسجام الكلمات، وقد شرحتها شرحا مختصرا تميز بسحر البيان وقدرة الطاقة والإمكان وبديعية عائشة الباعونية التي عرفنا بها الشيخ النابلسي، مطلعها:

في حُسْنِ مطلع أَقْمَارِي بذي سَلَمِ أَصْبَحْتُ في زُمْرَةِ العُشَاقِ كالعَلَمِ [2]

3-9-صدر الدين الحسيني(1117 هـ):

[1] محمود أحمد حسن المراغي:علم البديع ص 36

[2] محمود حسن المراغي: علم البديع ص 36

يبدأ بديعيته بقوله:

حُسْنُ ابْتِدَائِي بِذِكْرِي جيرة الحَرَمِ لَهُ بَرَاعَةُ شَوْقٍ تَسْتَحِلُ دَمِي

وقد تضمنت أبيات هذه المنظومة أسماء فنون البديع وقد شرح هذه البديعية شرحا أسماه(أنوار الربيع في أنواع البديع) يحاكي في ذلك ابن حجة الحموي.

3-10-عبد الغني النابسي(1114هـ):

اشتهر في ميدان النظم البديعي، وله بديعيتان كل منهما يبلغ مأئة وخمسين بيتا، وقد تناول فيهما مجموعة من الفنون البديعية الأولى لم يلتزم فيها بذكر المحسن البديعي في الأبيات، وأطلق عليها(نسمات الأسحار في مدح النبي المختار)ومطلعها:

يَا مَنْزِلَ الرَكْبِ بَيْنَ البَانِ والعَلَمِ مِنْ سَفْحِ كَاظِمَةٍ حُيِيتَ بالدِّيَمِ

وقد شرح هذه البديعية شرحا سماه (نفحات الأزهار)[1]

أما البديعية الثانية فقد تناول في أبياتها اسم المحسن البديعي، ومطلع هذه البديعية يقول:

يَا حُسْنَ مَطْلَعِ مَنْ أَهْوَى بذي سَلَمِ بَرَاعَةُ الشَّوْقِ في اسْتِهْلالِهَا أَلَمِي

3-11- البيروتي(1226 هـ):

له بديعية على بيتين من قصيدة الموصلي سماها (الشرح الجلي على بيتي الموصلي) والبيتان هما:

إن مَرَّ والمِرْآةُ يَوْمًا فيَ يَدي من خلفه ذو اللطف أسمى مَن سَمَا

[1] محمود حسن المراغي:علم البديع ص 37

وارتْ تَماثِيلُ الزجاج ولم تزل تقْفُوه عَدْوًا حيثُ سار ويمّما

وصاحب البيتين هو عبد الرحمن الموصلي.

وللبيروني أيضا بديعية يمدح فيها الرسول الكريم تضمنت كثيرا من ألوان البديع [1].

نستخلص من هذا التطور المرحلي للمنظومات البديعية أنها تناولت فرعا من فروع البلاغة ألا وهو البديع، وذلك نظرا لما تقتضيه سيرورة ذلك العصر، حيث أصبح المنظوم أسهل وسيلة لحفظ العلوم وتداركها، وفي الوقت نفسه كانت بعض هذه المنظومات خادما لتوجه ديني كان هدفه زرع مبادئ الزهد والورع لدى أبناء الأمة الإسلامية والإقتداء بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

[1] محمد المراغي:علم البديع ص 38

الفصل الثاني

فنون البديع في منظومة ابن معطي الزواوي (ت 628 هـ)

1 - فنون البديع في منظومة ابن معطي الزواوي

2 - المنهج في تأليف منظومة ابن معطي.

المبحث الأول:

تشتمل منظومة ابن معطي على ستة وتسعين ومائتي بيت(296) منها أربعة وأربعون ومائة بيت (144) من نظمه واثنان وخمسون ومائة بيت (152) من الشواهد الشعرية الذائعة في مصنفات البلاغيين، ولقد تناول ابن معطي في منظومته ثمانية وأربعين فنا بديعيا دون أن يلتزم فيها بحرا واحدا ولا قافية واحدة، بل استعمل ثمانية أبحر.[1]

وسوف نستعرض هذه الفنون على التسلسل الذي اعتمده المؤلف في نسيج معالم هذه المنظومة، مبررين آراء العلماء حول كل فن بديعي.

1 – الطباق:

يقول ابن معطي:[2]

فَهَاكَ وفِي ذِكْرِ الطِبَاقِ وَحْدَهُ مُقَابَلَةُ الضِّدَيْنِ مِنْهُ أَتَى لِيَا

مَقَالَ جَرِيرِ فَاسْتَمِعْهُ تَجِدْ بِهِ مُقَابَلَةَ يَبْدُو بِهَا النَظْمُ حَالِيَا

وبَاسِطُ خَيْرٍ مِنْكُمْ بِيَمِينِـهِ وقَابِضُ شَرٍ عَنْكُمْ بِشِمالِيَا

ويجيز الخطيب القزويني(ت 739 هـ) أن تكون المطابقة بلفظين من نوع واحد: اسمين أو فعلين.[3] كقوله تعالى: "وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وهُمْ رُقُود" [4] وقوله تعالى: "تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

[1] يحي ابن معطي:البديع في علم البديع ص 40

[2] المصدر نفسه ص 91

[3] الخطيب القزويني:الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد القادر الفاضلي، دار أبناء شريف 2009 ص 333

[4] الكهف 18

وتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَنْ تَشَاءُ وتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ" [1]،ففي الآية الأولى طباق بين اسمين (أيقاظا ورقود) وفي الآية الثانية بين فعلين (تعز وتذل) ،وكذلك: (تؤتي وتنزع).

كما نرى أن حازم القرطاجني (ت 684) قد قسم المطابقة إلى: "محضة وغير محضة، فالمحضة مفاجأة اللفظ بما يضاده من جهة المعنى.....وغير المحضة تنقسم إلى مقابلة الشيء بما يتنزل منه منزلة الضد، وإلى مقابلة الشيء بما يخالفه....وقد تكون المطابقة بالإيجاب والسلب"[2]

في هذا الصدد يقول ابن معطي:

وَكَقَوْلِ دَعْبَلْ استمع وأَصْخِ لَهُ تَجِدْ البُكَاءَ يُقَابِلُ الضَحِكَا

لا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَا

ومِنْهُ طِبَاقُ النَفْي للبُحْتُرِي قَدْ أَتَى مِنْهُ،فاعْلَمْ أَنَّ ذَاكَ المقَدَّم

يُقَبِّضُ لِي مِنْ حَيثُ لا أَعْلَمُ النَّوى ويسْرِي إليَّ الشَّوقُ مِنْ حيثُ أَعْلَمُ

حيث نرى أن المطابقة بين الضحك والبكاء،أي بضد اللفظ، كما أشار إلى ذلك القرطاجني، وكذلك بين الفعلين: لا أعلم وأعلم، أي بالنفي والإثبات، وهذا طباق السلب.

[1] آل عمران: 26

[2] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد خواجة دار الكتب الشرقية بيروت ص 48،47

ويرى الخطيب القزويني في طباق الإيجاب والسلب أنه"الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، أو أمر أو نهي "[1]، كقوله تعالى:"وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا".[2]

فالطباق هنا بين الفعلين (لا يعمون ويعلمون) أحدهما مثبت والآخر منفي.

ومن بين أنواع الطباق نذكر المقابلة، فقد عرفها قدامة بن جعفر(337ه) في كتابه "نقد الشعر" بقوله:"أن يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها البعض أو المخالفة فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشترط شروطا ويعدد أحوالا في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي في ما يوافقه يمثل الذي شرطه وعدده وفي يخالف بضد ذلك كما قال بعضهم:

وإِذَا حَدِيث سَاءَنِي لم أَكْتَئِب وإِذَا حَديثٌ سَرَّنِي لم أشر

فجعل بإزاء سرني ساءني، وإزاء الإكتئاب الأشر (أي المدح)، وحاذى عبارتي المعنيين المتقابلين على الترتيب، وذلك أحسن في الكلام.[3]

[1] الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ص 335

[2] الروم 6

[3] يقوتة نور امحمد:التضاد في الشعر العربي حتى أواسط القرن الرابع÷_دراسة دلالية بلاغية،رسالة دكتوراه، قسم الأدب العربي، جامعة مستغانم 2009،ص 16

ويرى حازم القرطاجني أن أنواع المقابلات تتشعب، وقل من تجده يفطن لمواقع كثيرة منها في الكلام، كما أن كثيرا من الناس يعد من المقابلة ما ليس منها، وأكثر ما يشعر به منها مقابلة التضاد والتخالف.[1]

والمقابلة في معناها العام هي المناسبة بالتضاد أو بغيره، غير أن أكثر ما تكون بالأضداد التي تتجاوز ضدين، وتحمل في طواياها التقسيم، ولذلك جعل ابن رشيق المقابلة بين التقسيم والطباق، وحينئذ يكون الكلام في أعلى رتبة من البلاغة وأعظم موقعا في النفوس.[2]

ومن أنواع الطباق أيضا العكس والتبديل، وغير عرّفه أبو هلال العسكري(ت 395هـ) في كتاب الصناعتين بقوله: "هو أن تعكس الكلام فتجعل في القسم الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول[3]،ومنه قوله تعالى:"تولج الليل في النهار و تولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي".[4]

[1] المرجع نفسه ص 16

[2] المرجع نفسه ص 17

[3] أبو هلال العسكري:الصناعتين ص 260

[4] آل عمران 27

2 – التجنيس:

يقول ابن معطي:[1]

وَ هَاكَ في التَجْنيس وهُوَ اشْتِقَاقُهُ مِنَ اللَفْظِ لَفْظًا مَا إِذَا المُطْلَقُ انْرَسَا

لَقَدْ طَمِحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ لِيُلْبِسَنِي مِنْ دَائِـهِ مَـا تَلَبَّسَـا

فهذا المصطلح ورد بعدة مدلولات منها التجانس، والجناس، والمجانسة، عند كثير من البلاغيين، وقد ربطه بعضهم بالاشتقاق الأصغر باعتباره مقطعين صوتيين متفقين في الإيقاع مختلفين في المدلول أي أنهما لفظان متحدان في الشكل مختلفان في المضمون. [2]

وجاء في المنظومة:[3]

ومِنَ الجنَاسِ تَوَافُقَ اللَّفْظَي لا المَعْنَى كَقَولِ حَبِيبِ المُتَنَاهِي

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنُّهُ يَحْيَا لَدَى يَحْيَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

فنرى الجناس المستوفي بين "يحي" الاسم و"يحيا" الفعل.

وقد اختلف البلاغيون حول أقسام التجنيس وتعريفاته من حيث العدد والاصطلاح والمفهوم، حيث ميزوا بسعة أنواع، منها: الجناس التام، وجناس التصريف، والجناس

[1] يحي ابن معطي: البديع في علم البديع ص 100

[2] منير سلطان:البديع تأصيل وتجديد، دار نشأة المعارف، الاسكندرية 1986 ص 76

[3] يحي بن معطي البديع في علم البديع ص 105

الناقص، وجناس التعريف، وجناس العكس(المقلوب)، وتجنيس المضاف، وتجنيس الاشتقاق.[1]

ويمكننا القول أن الجناس شأنه شان فنون البديع الأخرى، لا يحمد فيه الإسراف، ولا يستحسن الإكثار، لذلك ذم الاستكثار منه والولوع به، ذلك أن المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه.

3 - الاستعارة:

يقول ابن معطي:[2]

وهَاكَ وفي النَّوعِ المُسَمَّى اسْتِعَارَةٌ كَقَوْلِ زُهَيْرٍ فِيهِ لا فُضَّ قَائِلُهُ

مَحَا القَلْبَ عَنْ سَلْمَى وأَقْصَرَ بَاطِلُهُ وعَرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا ورَوَاحِلُهُ

فقد وظف ابن معطي البيت الثاني بما يناسب الاستعارة، فنرى في البيت استعارة"أفراس للصبا"، حيث شبه الصبا وهي الميل من جهات المسير، وحذف المشبه به في التحويل الاستعاري وأتى بشيء من لوازمه وهي الأفراس والرواحل.

لقد أخذت الاستعارة في التراث البلاغي جملة من التعاريف بحسب آراء البلاغيين المختلفة، حيث نرى أبا هلال العسكري قد عرّفها بأنها:"نقل العبارة عن موضع استعمالها

[1] منير سلطان:البديع تأصيل وتجديد ص 77

[2] البديع في علم البديع ص 108،111

في أصل اللغة لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإنابة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه" [1]

فابن معطي عد الاستعارة فنا بديعيا، فيما نجدها في كثير من المصنفات البلاغية ضمن ألوان البيان وهذا ما يثبت أن منظومته قد أحاطت بعلوم البلاغة الثلاثة: المعاني، البيان، البديع.

4 – **الإلغاز:**

يقول ابن معطي:[2]

وهَاكَ وفِي الإِلْغَازِ وهي اسْتِعَارَةٌ تُشِيرُ إِلَى المَعْنَى بإِبْهَام مُفْهَمِ

وخَفْيَاْءُ أَلْقَى اللَيْثُ فِيهَا ذِرَاعَهُ فَسَرَّتْ وسَاءَتْ كُلَّ مَاشٍ و مُصْرَمِ

على رَوْضَةِ جِيدَتْ بِنَوْءِ ذِرَاعِهِ على اللُغْزِ مَنْظُومٌ كَوَشْيٍ مُنَمْنَمِ

ويطلق على هذا الفن أيضا المحاجاة أو التحمية، وهو أن يأتي المتكلم بعبارات يدل ظاهرها على باطنها.

ولا شك أن ابن معطي قد استمد هذا الفن من الخلفية الثقافية السائدة آنذاك في المغرب العربي والمتمثلة في العادات والتقاليد التي تشبع بها أهل المنطقة، وهذا ما كان بالفعل في بيئة العوام.

[1] أبو هلال العسكري: الصناعتين،تحقيق محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الحلبي، 1971، ص 268

[2] ابن المعطي، البديع في علم البديع، ص 116.

والبيت الذي يحوي هذا الفن منسوب إلى ذي الرمة(ت 117 هـ)، وخفياء: تعني أرضا مختلفة ألوان النبات، وقد مطرت بنود الأسد، فسرّت من له ماشية، ساءت من كان مغرِما لا إبل له.

والفن في هذا يكمن في الإمطار التي تسقط في وقت برج الأسد.

5 - الإرداف:

يقول ابن معطي:[1]

وهَاكَ وفي الأَرْدَافِ وهُوَ إِلْتِقَاؤُهُ بِفَحْوَى الكَلامِ المُجْتَلَى كَالمَؤُولِ

وتُضْحِي فَتَبِتَ المِسْكُ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَؤُومُ الضُحَى لَمْ تَنْطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

وفي البيت الثاني أراد امرؤ القيس(ت 560م) أن يعبر عن تنعم المرأة وترفها، فلم يذكر ذلك بلفظه، بل قال إنها تؤوم الضحى وأن المسك يبقى على فراشها: وقد أتى بألفاظ أبلغ لذلك.

وقد ربط عبد القادر الجرجاني(ت 471هـ) الإرداف بنظرية النظم، وأطلق عليه "معنى المعنى"، إذ يقول في هذا الصدد: "تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بذلك إلى معنى آخر." [2]

[1] يحي ابن معطي:البديع في علم البديع ص 116

[2] عبد القادر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي 1989، ص 263

ويذهب كثير من البلاغيين إلى ربط الإرداف بالكناية، باعتبار أن اللفظية إذا أطلقت وكان الغرض الأصلي غير معناها، فإنها تشير إلى معنى آخر، وهكذا تتحقق مقصدية الكناية. وإننا نجد ابن معطي لا يفرق بين الإرداف والكناية.

6 - الموازنة:

يقول ابن معطي:[1]

و هَاكَ وفي ذِكْرِ المُوَازَنَةِ اسْتَمِعْ مُعَادَلَةَ الأَجْزَاءِ جَيِّدَهَا حَالِي

سَلِيمُ الشَّظَى عَبْلُ الشَوَى تَنْسِجُ النَسَا لَهُ حَجَبَاتَ مُشْرِفَاتُ على الغَالِي

نلاحظ في البيت الثاني توازنا في الشطر الأول منه، حيث نجد الشظى: عظم الذراع، والشوى: اليدان والرجلان، والنسا: أي منقبضه، كما نلاحظ ذلك في الشطر الثاني.

والموازنة هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية [2]، نحو قوله تعالى: "وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾"[3]

فاللفظان : "مصفوفة" و"مبثوثة" متساويان في الوزن لا في التقفية، لأن الأول في الفاء والثاني على التاء، ولا عبرة لتاء التأنيث كما هو معروف في علم العروض.

7 - المبالغة:

[1] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 119

[2] أحمد شعيب: بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، دار ابن حزم ط 1 2008 ص 424

[3] الغاشية: 14،15

يقول ابن معطي:[1]

وهَاكَ وفي ذِكْرِ المُبَالَغَةِ اسْتَمِعْهَا فَبِالتَّوكِيدِ صَاغَ لَهَا مِثَالا

ونُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا ونُتْبِعُهُ الكَرَامَةَ حَيْثُ مَالا

نجد ابن معطي قد وظف البيت الثاني في منظومته نظرا لتناسبه مع الفن البديعي، فالمراد من قول الشاعر: "نتبعه الكرامة حيث مالا" هو المبالغة في إكرام الضيف.

ويذهب الخطيب القزويني(ت 739 هـ) إلى أن المبالغة "هي أن يدعى لوصف بلوغ في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا، لكن يظن أنه غير متناه في الشدة أو الضعف[2].

وقد عُرفت "المبالغة" في علم البديع بأنها:ادعاء بلوغ وصف في الشدة أو في الضعف حدا مستحيلا[3]، قال تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾" [4]

فالآية الكريمة قد بالغت في وصف أهوال يوم القيامة، ووصلت بهذه الأهوال إلى حد بعيد، فالمرضعة تذهل عما أرضعت، والناس سكارى من الأهوال وما هم بسكارى.

---

[1] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 128،130

[2] الخطيب القزويني، الإيضاحفي علوم البلاغة ص 359

[3] بسيوني عبد الفتاح قيودك علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة، موسوعة المختار ط 3، 2011 ص 198

[4] الحج:1،2

وقد اختلفت آراء العلماء في المبالغة قبولا وردا، فبعضهم رأى قبولها ومنهم من ردها.

8 - الغلو:

يقول ابن معطي:[1]

وَخُذْ في غَرِيبَاتِ الغُلُوِّ وكَاسْمِهِ أَتَيْنَ وقَيْسُ بْنُ الخَطِيمِ أَقَدَهَا

طَعَنْتَ ابْنَ عَبْدَ القَيْسِ طَعْنَةَ ثَائِرِ لَهَا نَفْذٌ لَوْلا الشُعَاعَ أَضَاءهَا

نجد أن الغلو يتجسد في قول الشاعر:"لها نفذ لولا الشعاع أضاءها" وكأنه أراد طعنه طعنة من يطلب بثأره، فلم بيق غاية، ، ولم يقصر عن المبالغة، وأنه لولا الشعاع مانع لأضاءها النفذ.

والغلو ضربان:

أ- غلو حسن مقبول: وهو عند علماء البديع ما دخل عليه أو اقترن به أداة من الأدوات التي تقربه إلى الصحة والقبول من نحو "قد" للاحتمال، و"لو" و"لولا" للامتناع، و"كأن" للتشبيه، و"يكاد" للمقاربة وما أشبه ذلك.

ب- غلو مردود مستهجن: ويتمثل في المعنى الذي يمتنع عقلا وعادة مع خلوّه من أدوات التقريب التي تدنيه إلى الصحة والقبول[2].

9 - الايغال:

[1] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 132

[2] ابن عبد الله أحمد شعيب، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية ص 358

يقول ابن معطي:[1]

وهَاكَ وفِي الايغال واحْرِصْ عَلَيْهِ أَنْ تَجِيءَ بِمَعْنَى كَامِلَ ومُتَمِّمِ

كَأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ في كُلِّ مَنْزِلِ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لم يَحْطَمِ

ففي البيت المتضمن الايغال نرى الشاعر قد شبه ما تفتت من العهن بالحبّة التي تنبتها الأرض، وأشار بقوله:"لم يحطم"، وهو الشاهد، إلا أنه إذا كسر ظهر له لون غير الحمرة، وإنما تشتد حمرته ما دام صحيحا لم يكسر.

10 -التسهيم:

يقول ابن معطي:[2]

واسْمَعِ التَّسْهِيمَ الذي قَدْ يُسَمَّى أَيْضًا التَوْشِيحَ الذي فِيهِ قِيلا

فَإِذَا حَارَبُوا أَذَلُّوا عَزِيزًا وإِذَا سَالَمُوا أَعَزُّا ذَلِيلا

ففي البيت الثاني تناسق وتلاؤم المعاني، واكتمالها وتمامها من بداية البيت إلى نهايته، وهذا ما يحقق عنصر التسهيم.

وقد ورد هذا المصطلح عند كثير من البلاغيين تحت مسمّى "التوشيح" و"الإرصاد" و"التبيين".

[1] البديع في علم البديع ص 136

[2] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 141

فالخطيب القزويني يرى أن الإرصاد"هو أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عُرِف الروي[1] ،كقوله تعالى:" وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾"[2].

وقول زهير بن أبي سلمى:

سَئِمْت تَكَاليفَ الحَيَاةِ ومن يعش ثمانين حولا-لاأبالك- يسأم

ونجد ضياء الدين بن الأثير(ت 637هـ) يسميه الإرصاد أيضا ويعرفه بقوله:"وحقيقته أن يبني الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له، أي أعدها في نفسه، فإذا أنشد صدر البيت عُرِف ما يأتي في قافيته، وذلك محمود الصنعة. فإن خير الكلام ما دل بعضه على بعض."[3] فالشاعر يتخيل القافية في ذهنه قبل أن ينشد البيت.

11 –صحة التقسيم:

يقول ابن معطي:[4]

وهَاكَ في صِحَة التَقْسِيم شَاهِدْهَا وَافَى طريح به واللَفْظُ مُتَفِقُ

إنْ حَارَبُوا وضَحُّوا، أو سَالَمُوا رَفَعُوا أو عَاهَدُوا ضَمَنُوا أو حَدَثُوا صَدَقُوا

[1] الخطيب القزويني:الإيضاح في علوم البلاغة ص 343

[2] العنكبوت:40

[3] ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوى طبانة، دار النهضة مصر القاهرة(د،ت) ص 439

[4] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 148

فالبيت الذي وظفه ابن معطي يتناسب والفن البديعي، حيث قسم الحرب إلى أقسام في مراتب اللقاء إذ نجد الحرب والوضع والسلم والرفع والمعاهدة والضمان والحديث والصدق، وهنا تكمن صحة التقسيم.

وقد نجد مجموعة من الصور التي يرد فيها التقسيم وأبرزها استيفاء المتكلم جميع أقسام المعنى الذي هو لآخذ فيه، بحيث لا يترك منها قسما محتملا [1] كقوله تعالى:" ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّـهِ"[2].

حيث نجد الآية الكريمة قد استوفت جميع الأقسام التي يمكن أن يكون عليها العباد، فمنهم: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، ولا نجد قسما رابعا محتملا.

وعلى هذا الأساس فإن التقسيم هو أن يذكر المتكلم شيئا ذا جزأين فصاعدا، ثم يضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عنده، واشترط فيه البديعيون أن يستوفي أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه [3]كقوله تعالى:" هُوَ الَّذي يُريكُمُ البَرقَ خَوفًا وَطَمَعًا"[4]، وهذا أحسن تقسيم، لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع، ليس فيهم ثالث.

[1] بسيوني عبد الفتاح قيود:علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومساءل البديع ص 214

[2] فاطر 32

[3] أحمد شعيب: بحوث منهجية في علوم البلاغة ص 381

[4] الرعد 12

ومن التقسيم أيضا قوله تعالى:" الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ"[1]، فالآية الكريمة قد استوفت أركان التقسيم.

12 –التكميل:

يقول ابن معطي:[2]

وهَاكَ من التَّكْمِيلِ وهو مَجِيئه بِلَفْظٍ حَوَى المَعْنَى التَّمام لِنَاظِمِ

فَيَسْتَغْرِقُ اللَفْظُ المعَانِي كُلَهَا على صحة تَنْفِي مَقَالا لِوَاهِمَ

أُنَاسً إِذَا لَمْ يُقْبَلْ الحَقُّ مِنْهُم ويُعْطُوهُ، عَاذوا بالسُّيُوفِ الصَوَارِمِ

فجملة "ويعطوه" قد أتمت المعنى وأكملته، وأكسبته جودة، وبذلك فقد استوفى الشاعر المعنى.

ونلاحظ أن هذا المصطلح قد ورد عند كثير من البلاغيين تحت مسمى التتميم فهذا أبو هلال العسكري(ت 395 هـ) يجمع التتميم والتكميل في باب واحد، ويعرفها بقوله:"هو أن توفي المعنى حظّه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه لا تورده أو لفظا يكون فيه توكيده إلا تذكره"[3]

والتتميم يأتي على مضربين: ضرب في المعنى، وضرب في الألفاظ

[1] آل عمران: 192

[2] ابن معطي البديع في علم البديع ص 154

[3] أبو هلال العسكري: الصناعتين ص414

أ –**التتميم المعنوي:** هو تتميم المعنى ويجيء بالمبالغة والإحتراس كقوله تعالى:" وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾"[1]

ب–**التتميم اللفظي:** وهو الذي يؤتى به لإقامة الوزن[2]

ومن شواهد التكميل في القرآن الكريم قوله تعالى: "فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين" فالمولى عز وجل هو أعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة للمؤمنين لكان مدحا تاما مشتملا على الانقياد لإخوانهم، ولكن زاده تكميلا، ووصفهم بعد ذلتهم لإخوانهم المؤمنين، بالعزة على الكافرين وهذا هو التكميل، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم يصلي لله كل يوم اثني عشرة ركعة من غير الفرائض إلا بنى الله له بيتا في الجنة".

ففي هذا الحديث وقع التتميم في أربعة مواضع هي: قوله "مسلم" وقوله "الله" وقوله "كل يوم" وقوله "من غير الفرائض"، فحذف أي من هذه التتميمات ينقص من معنى الحديث الشريف ويقلل من قيمته البلاغية.[3]

13 –الترصيع

يقول ابن معطي:[4]

وهَاكَ أَمْثِلَةَ التَرْصِيعِ أَتِيَةٌ بالسَّجْعِ في الحُسْنِ والتَفْهِيمُ مَصْحُوبُ
المَاءُ مُنْهَمِرٌ والشَّدُّ مُنْحَدِرُ والقَصَبُ مُضْطَمِرٌ،والمَتْنُ مَلْحُوبُ

[1] الإنسان 8

[2] أحمد شعيب: بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية ص 364

[3] عبد العزيز عتيق: علم البديع،دار النهضة العربية بيروت (دت) ص 119

[4] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 158

ونلاحظ أن البيت الذي وظفه ابن معطي ينسجم مع هذا الفن البديعي، حيث يتجلى لنا التوافق والتوازن في كلا الشطرين، مما يحدث إيقاعا موسيقيا في البيت الشعري.

ويذهب صفي الدين الحلي (ت 750هـ) إلى أن "الترصيع عبارة عن مقابلة كل لفظة من صور البيت أو من الفقرة بلفظة على وزنها ورويها إعرابها غالبا في العجز أو من الفقرة ،كقوله تعالى:"إن إلينا إيابهم، ثم علينا حسابهم" [2] ففي الآية الكريمة نرى الترصيع مجسدا في مقابلة كل لفظة مع الأخرى حيث نجد:"إلينا وعلينا"، و "إيابهم وحسابهم".[1]

وقول الحريري (ت 516هـ)-أيضا-يصف وعظ أبي زيد: "يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماء بزواجر وعظه"[3] .

وقد درس قدامة بن جعفر الترصيع ضمن نعوت الوزن، يقول:"وهو أن فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على جع أو شبيه به أو من جنس واحد من التصريف" [4]

14 -الالتفات:

يقول ابن معطي:[5]

والالتفات هو اعْتِرَاضٌ مُجْمَلٌ فِيهِ لِحَسَّان جَمَالُ المُجْمَلِ

إنَّ التي أَعْطَيْتَنِي فَشَرِبْتُهَا قُتِلَتْ قُتِلَتْ فَهَاتِها لم تُقْتَلِ

فالبيت الذي أتى به ابن معطي كشاهد على الالتفات يحمل دلالته، حيث نجد الوضوح في كلام الغيبة، فقوله: "إن التي ناولتني فردّدتها" أي التي أعطيتني....قتلت"، إذ أن الشاعر

---

[1] صفي الدين الحلي، النتائج الإلهية في شرح الكافية البديعية، تحقيق عماد حسن مرزوق بستان المعرفة ط 2006 ص 117

[2] الغاشية: 25،24

[3] صفي الدين الحلي:النتائج الإلهية في شرح الكافية ص 117

[4] قدامة بن جعفر: نقد الشعر تحقيق محمد عبد المنعم جفاجي، دار الكتب العلمية بيروت ص 80

[5] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 167

يعدل عنه إلى كلام الخطاب، دون أن يتم غرضه الأول، فيقول "قتلت"، ثم يعود إلى الكلام بقوله:"فهاتها لم تقتل"، وجاء في شرح الكافية البديعية أن "الالتفات هو عبارة عن الخروج عن الخطاب إلى الغيبة أو إلى التكلم [1]، كقوله تعالى: "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها" [2]

ونجد أيضا ابن الأثير يقسم الالتفات إلى ثلاثة أقسام:

أ- في الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، فمن الضرب الأول قوله تعالى: "وأوحى في كل سماء أمرها وزيّنا السماء الدّنيا بمصابيح" [3] ، ومن الضرب الثاني قوله تعالى: "صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم" [4]

ب- في الرجوع عن الفعل المسقبل إلى فعل الأمر وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر، فمن الضرب الأول قوله تعالى على لسان النبي هود عليه السلام:"قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون" [5] ، ومن الضرب الثاني قوله عز وخجل: "قُلْ أمَرَ بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ادعوه مخلصين" [6]

ت- في الإخبار عن الفعل بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي، فمن الضرب الأول قوله تعالى: "والله الذي أرسل الرياح فتشير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا الأرض بعد موتها كذلك النشور" [7]

ومن الضرب الثاني قوله تبارك وتعالى: "إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله" [8].

---

[1] صفي الدين الحلي:شرح الكافية البديعية ص 66

[2] فاطر: 27

[3] فصلت: 11

[4] الفاتحة: 6-7

[5] هود: 54

[6] الأعراف 28

[7] فاطر 9

[8] الحج 24

15 -الاستدراك

يقول ابن معطي:[1]

وهاك في الاسْتِدْراكِ وهو رُجُوعَه على ما نَفَى بالرد، وهو جليلُ

أَليسَ قَلِيلا نَظْرَةٌ إن نَظَرْتُهَا إليكَ، وكلا لَيْسَ مِنْكَ قليلُ

فالبيت الذي استشهد به ابن معطي في منظومته يحمل دلالة الاستدراك ويتجسد ذلك في قول الشاعر:"وكلا ليس منك قليل"، حيث استدرك معناه، ورجع عنه، بعد قوله:"أليس قليلا".

وفيما يخص هذا المصطلح، نجد كثيرا من البلاغيين يختلفون في التسمية، فمنهم من أطلق عليه "الرجوع"، ومنهم من سماه "الاستحالة" و"التناقض" ويرى صفي الدين الحلي(ت 750هـ): "أن الاستدراك شرطه أن يكون فيه نكتة وطريقة زائدة على معنى الاستدراك لتحسنه وتدخله في أقسام البديع، وإلا فلا يعد بديعا."[2]

كما نجد ناصر الدين محمد بن قرقماس يعرّف الرجوع بأنه: "أن يرجع المتكلم على الكلام السابق بالنقض فإن الكلام الأول متبثا نفاه، وإن كان منفيا أثبته....إذ ليس من الفصاحة في شيء، كما لو كذب فقال: قُمتُ، ثم رجع إلى الحق، فقال:"ما قمت" [3]

16 -الاستثناء:

يقول ابن معطي:[4]

وهاك في الاستثناء قولا تخصه بحسن تجل فيه من غير عائب

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

---

[1] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 177

[2] شرح الكافية البديعية ص 72

[3] ناصر الدين محمد بن قرقماس: زهر الربيع في شواهد البديع،تحقيق مهدي أسعد، دار الكتب العلمية بيروت ط 1، 2007 ص 150

[4] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 191

وقد ورد في الشاهد الذي أتى به ابن معطي استثناء يحمل دلالة تأكيد المدح بما يشبه، وتجلى ذلك في قول الشاعر: "لا عيب فيهم غير أن سيوفهم" أي أن هذه السيوف تحمل علامات المضاربة والمبارزة، والتي قد تكون سلبية.

ولا شك أن ابن معطي قد تناول مصطلح الاستثناء قاصدا به الفن البديعي الذي يقوم على المدح في معرض الذم، والذي ورد عند كثير من البلاغيين.

ومن البلاغيين الذين تناولوا مصطلح الاستثناء نجد أبو هلال العسكري(ت 395هـ) حيث يعرفه بقوله: "الاستثناء على ضربين، فالضرب الأول هو أن تأتي بمعنى تريد توكيده والزيادة فيه، فتستثنى بغيره، فتكون الزيادة التي قصدتها..... والضرب الآخر استقصاء المعنى والتحرز من دخول النقصان فيه."[1]

ونستشِفُّ من خلال هذا التعريف أن الضرب الأول الذي تحدث عنه العسكري الغرض منه تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهذا ما ورد في كثير من المصنفات البلاغية وقد أكد ابن حجة الحموي هذا اللون البديعي في قوله: أعني المدح في معرض الذم من أنواع ابن معتز، وهو أن ينفي صفة الذم، ثم يستثني صفة مدح كقولك: لا عيب في زيد سوى أنه يكرم الضيف [2]، ومن أعظم الشواهد القرآنية على هذا النوع قوله تعالى: "لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سَلامًا سَلامًا"[3]

17 -براعة الاستهلال:

يقول ابن معطي:[4]

بَرَاعَةُ الاسْتِهْلالِ أَنْ تَبْتَدِي بِمَا يَدُلُّ على المقْصُودِ في البَيْتْ أَوَّلُ

---

[1] أبو هلال العسكري: الصناعتين ص 265

ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأدب تحقيق صلاح الدين الهواري، دار أبماء شريف الأنصاري لبنان 2009 ج 2 [2]ص 391

[3] الواقعة 27-28

[4] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 197

كَمَا قَالَتِ الخَنْسَاءُ تُطْرِي أَخًا لَهَا ولا مِدِحَةً إلا وذي المدْحِ أَجْمَلُ
وما بَلَغْتَ كَفُّ امرئ مُتَنَاولٍ من المجْدِ إلا والذي نِلْتَ أَطْوَلُ

ولا شك أن ابن معطي قد استشهد ببيت الخنساء(ت 646م) حين كانت ترُثي أخاها "صخر"، حيث تجلت براعة الاستهلال في مطلع قولها: "وما بلغت كف امرئ"، وقد تجسدت أكثر في قولها: "والذي نلت أطول" وكل هذا مقترن بالمجد.

ونجد صفي الدين الحلي(ت 750هـ) يعرف هذا الفن، فيقول: "أما براعة المطلع فهي عبارة عن سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى ورقة التشبيب وتجنب الغموض وتناسب القسمين، وألا يكون البيت متعلقا بما بعده ويسمى أيضا حسن الابتداء، وقد فرعوا منه براعة الاستهلال في النظم والنثر وشرطه في النظم أن يكون المطلع دالا على بنيت القصيدة عليه من غرض الشاعر...وفي النثر أن يكون افتتاح الخطبة أو الرسالة، أو غيرهما دالا على غرض المتكلم"[1]

ومن أمثلة براعة الاستهلال قول أبي تمام(ت 232م) في قصيدته "فتح عمورية":

السيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً من الكُتُبِ في حَدِّهِ الحَدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ

فقد بنيت القصيدة على الإشادة بالفتح والتحريض على الحرب.

[1] صفي الدين الحلي: شرح الكافية البديعية ص 54

18 –براعة التخلص:

يقول ابن معطي:[1]

وبَراعَةُ التَّخْلِيصِ وَارِدَةٌ بِتَغَزُّلٍ يُتْلَى به المدْحُ

ما زَالَ يُلْثِمُنِي مَرَاشِفُهُ ويَعْلَني الإِبْريقُ والقَدْحُ

حتى اسْتَرَدَّ اللَّيلُ خِلْقَتَهُ وبَدَا خِلالَ سَوادِهِ وَضَحُ

وبَدَا كأَنَّ الصُّبْحَ غَرَّتْهُ وجْهُ الخَليقَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ

نلاحظ أن الأبيات التي استشهد بها ابن معطي فيما يخص براعة التخلص هي الأكثر شيوعا في المصنفات البلاغية نظرا لما تحمله من دلالات هذا الفن والشاهد في ذلك هو الانتقال البارع والخروج اللطيف من وصف الليل وانبلاج الفجر إلى مدح ممدوحه بأحسن نوع يمكنه من أنواع البديع الظريفة، تختلس ذلك اختلاسا وثيقا، وهذه طريقة انفرد بها المولدون من أهل العصر دون المتقدمين....وهي من محاسن الأدب...." [2]

وهذا يعني أن براعة التخلص تدور فحواها حول أساليب المدح المتنوعة التي ينفرد بها الشاعر عن غيره في وصف ممدوح معين بعبارة مهذبة ظريفة.

19 –التبيين:

[1] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 199

[2] صفي الدين الحلي: شرح الكافية البديعية ص 91

يقول ابن معطي:[1]

وهَاكَ وفي التَبْيينِ فانْظُر تَجِدْ به مَحَاسِنَ ذَاكَ التَغَلُبِي المُقَدَمِ

أَتَى بِبُنْيَانٍ سَابِقِ الذِّكْرِ كَامِلا وعَاد إلى ذِكْرِ الجَوابِ المُتَمَمِ

لَقَدْ جِئْتَ قَوما لَوْ لَجَأْتَ إِلَيْهِمْ طرَيْدُ دَمٍ أَو حَمِلاُ ثِقْلَ مُغْرَمٍ

لأَلْفَيْتَ فيهم مُعْطِيا ومُطَاعِنا ورَاءَكَ شَزْرًا بالوَشِيحِ المُقَوَّمِ

فالبيتين اللذان وظفهما ابن معطي في منظومته يحملان سمات التبيين، ويتعلق الأمر بالتبيين الذي جاء في قول الشاعر: "حاملا ثقل مغرم"، وبينه أكثر بقوله:"ومطاعنا" أي تجد فيهم من يطاعن دونك.

ومن خلال استقرائنا لمضامين هذا الفن نجد أن كثيرا من البلاغيين أطلقوا على التبيين تسميات عدة نذكر منها: "صحة التفسير"، وكذلك "الف والنشر".

وحسبنا أن نشير إلى ما جاء في فروع اللف والنشر،"فاللف:ذكر أشياء إما مجملة وإما مفصلة، أما النشر: فهو ذكر هذه الأشياء من غير تعيين من المتكلم ثقة بأن السامع سيرد كل شيء إلى ما يناسبه."[2]

واللف والنشر قسمان: إجمالي وتفصيلي، فالإجمالي كقوله تعالى:"وقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلا من كان هُودًا أو نَصَارَى" [1]، فاللف الإجمالي جاء في واو الجماعة في "قالوا"، حيث جُمعت

[1] ابن معطي البديع في علم البديع ص 210

[2] عائشة حسين فريد: وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء القاهرة 2000 ص 81

أقوال اليهود والنصارى باعتبار أن القول واحد، والمعنى في ذلك أن اليهود قالت لا يدخل الجنة إلا من كان هودا وأن النصارى قالت لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، وهذا المجمل يشمل أهل الكتاب اليهود والنصارى، أما النشر في قوله تعالى: "إلا من كان هودا أو نصارى" فلم يعين من قال ذلك ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله.

أما التفصيلي: فنجده في قوله تعالى: "أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوى ووجَدَكَ ضَالا فَهَدَى ووجَدَكَ عَائِلا فَأَغْنَى، فَأَمَّا اليَتِيمَ فلا تَقْهَرْ وأَمّا السَّائِلَ فلا تَنْهَرْ وأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ"[2] .

فنرى بأن اللف المفصل في قوله تعالى: "ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى"، ونجد النشر في قوله تعالى: "فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث"، وذلك بأن قوله تعالى: "فأما اليتيم فلا تقهر"، راجع إلى قوله تعالى: "ألم يجدك يتيما فآوى" وهكذا الآيات الأخرى على الترتيب.

20 -المذهب الكلامي:

---

[1] البقرة

[2] الضحى 6-8

يقول ابن معطي:[1]

وفي مَذْهَبِ المُسَمَّى الكَلامِيُ يُجْتَلَى لِنَابِغَةَ الاحْسَانُ فيهِ فَيُطْرَبُ

أَتَاكَ بأَلْفَاظِ البديعِ بما جَرَى بِنَوْعِ جِدَالٍ في القَضيَّة يُعَذِّبُ

مُلُوكٌ وإِخْوانٌ إذا ما أَتَيْتَهُمْ أحكُم في أَمْوالِهم وأَقْرَبُ

كفِعْلِكَ في قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ فلم تَرَهُم في مثْلِ ذَاكَ أَذْنَبُوا

فنرى ابن معطي يستشهد بأبيات من شعر النابغة الذبياني لإبراز خصوصيات هذا الفن نظرا لما تحتويه من دلالات الحجاج والمجادلة والمحاورة ، والتي دارت فصولها حول مدح الملوك والإحسان إليهم، وحتى ولو كانوا مذنبين في رأي الطرف الآخر، ولا قناع في الخصوم لابد من إقامة الحجة التي تؤيد موقفه. وللتذكير فإن هذه المجادلة دارت بين النابغة والنعمان في مدح آل جفنة بالشام.

وفي رأينا أن المذهب الكلامي يقوم في الأساس على عنصر الإقناع باستخدام المدح والبراهين العقلية، وذلك من لأجل إثبات رأي معين، وباعتباره لونا بديعيا، نجد أن ابن المعتز جعله من بين الفنون الخمسة الأساسية التي تبنى عليها كتابة "البديع"، وقد نسبه إلى الجاحظ وأنكر وجوده في القرآن الكريم.

يقول في هذا الصدد: "هو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئا، وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا."[1]

[1] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 212

وفهمنا حول هذا الفن البديعي يدلي بنا إلى القول أنه صنيع فرقة المتكلمين التي تجد من العقل وسيلة لإيراد الحجج والبراهين.

وفي هذا الصدد نجد في شرح الكافية البديعية أن المذهب الكلامي مأخوذ من إثبات المتكلمين إحوال الدين بالدليل القاطع، والمراد به أن يورد مع الحكم بحجة صحيحة لينقطع بها الخصم[2]، كقوله تعالى: "أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم."[3]، وقوله تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون."[4]

نلاحظ أن البلاغيين لم يتفقوا على وجود هذا الفن في القرآن الكريم، فهذا صفي الدين الحلي يضرب لنا أمثلة من القرآن الكريم على عكس ما نراه عند عبد الله ابن المعتز الذي أنكر وجوده بداعي أنه من التكلف وهذا لا يجوز نسبة إلى المولى عز وجل.

21 -التفريع:

يقول ابن معطي:[5]

---

[1] ابن المعتز: البديع ص 53

[2] صفي الدسن الحلس: شرح الكافية البديعية ص 90

[3] يس 80

[4] الأنبياء 22

[5] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 218

وهَاكَ أَمْثِلَةَ التَفْرِيعِ مُونِقَةٌ أَوْصَافُهَا مِثْلَ ما وَافَى فيه الغَزَلُ

فَشَبَّهَ الشَّيْء بالشَّيءِ المُبَالَغِ في صِفَاتِهِ قَالَهُ الأَعْمَى كما نَقَلُوهَ

ما رَوْضَةٌ من رِيَاضِ الحُزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاء جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ

يَوْمًا بأَطْيَبَ منها نَشْرُ رَائِحَةٍ ولا بأَحْسَنَ منها إِذْ دَنَا الأَصْلُ

فالأبيات التي وظفها ابن معطي منسوبة للأعشى، تحمل في طياتها دلالات التفريع، حيث نجد أن بداية الكلام كانت بحرف نفي في قول الشاعر: "ما روضة" ثم جاء بعد ذلك الوصف المناسب بأحسن الصور، وذلك حين يفرع الأصل باستعمال أفصل التفضيل بحرف الجر الزائد في قوله: "بأطيب".

ورأينا في هذا أن التفريع هو إدخال النفي على اسم ما ثم وصفه بأوصاف مهذبة تليق بمقامه بحيث يكون ذلك الاسم هو الأصل يفرّعُ عنه عدة جمل، وجاء في خزانة الأدب لابن حجة الحموي أن التفريع "هو ضد التأصيل، وهو أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم منفي ثم يصف ذلك المنفي بأحسن أوصافه المناسبة للمقام، إما في الحسن وإما في القبح، ثم يجعله أصلا يفرع منه جملة من جار ومجرور، متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو غير ذلك ثم يخبر عن ذلك الاسم بأفعال التفضيل....."[1]

22 –تجاهل العارف:

[1] ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب 2/ص 378

يقول ابن معطي:[1]

تجاهل العارف وافى زهيرٌ به فأجاد فيه ما يشاءُ

وما أدري وسوف أخال أدري أقول آل حِصن أم نساءُ

نرى ابم معطي يستشهد ببيت ل"زهير بن أبي سلمى" لإبراز خصوصيات هذا الفن ونلاحظ ذلك في قول الشاعر "أقوم آل حصن أم نساء"، فهو بذلك يتجاهل أنهم رجال مع العلم أنه يعلم ذلك، وهذا قصد المبالغة في ذمهم، وأنهم بلغوا من الضعف مبلغا يحصل معه ذلك اللبس.

وفهمنا في هذا أن تجاهل العارف فن بديعي لطيف قد يسلكه الكاتب أو الشاعر كطريقة لتأكيد المعنى وذلك بتوظيف أساليب استفهامية الغرض منها إيهام السامع.

كما نجد هذا الفن قد ورد بعدة تسميات نذكر منها: "الاستفهام" و"التشكيك".

وجاء في شرح الكافية البديعية أن تجاهل العارف : "هو عبارة عن سؤال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب أو التقرير أو الاذكار أو التوبيخ"[2]. كقوله تعالى: "وما تلك بيمينك يا موسى"[3]، فهذا السؤال تقرير إذكار من المولى عز وجل لنبه موسى فهو يذكره بالعصا التي يحملها، وقال تعالى: "أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا"[4]، فهذا سؤال توبيخ.

[1] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 232

[2] صفي الدين الحلي: شرح الكافية البديعية ص 85

[3] طه: 16

[4] القمر: 24

وبهذا فإن تجاهل العارف كفن بديعي قد يصادفنا في القرآن الكريم ويكون على سبيل الأغراض التي ذكرناها سابقا.

ومن الشواهد الشعرية على هذا الفن نجد:

أ - من الحكمة:

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

ب - من الايناس:

ومن ذا الذي ترضى سجياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه[1]

23 -الهزل المراد به الجد:

يقول ابن معطي:[2]

وهَاكَ وفي الهَزْلِ المُرَادِ بذِكْرِهِ هُنَا الجِدُّ فانْظُر تَسْتَبِنْهُ من السَّبِّ

إِذَا ما تَسمِيُ أَتَاكَ مُفَاخِرًا فَقُلْ عَدِّ عن ذا كَيْفَ أَكْلَكَ للضَّبِّ

نرى أن ابن معطي يوظف بيت شعري من ديوان أبي نواس وذلك قصد إبراز معالم هذا الفن حيث نجد قول الشاعر: "كيف أكلك للضب" يمثل معنى الاستهزاء وإذا تأملنا فيه وجدنا الجد على الحقيقة لأن أهل تميم يكثرون من أكل الضب وأن أشراف الناس لا يأكلونه، وبالمناسبة يدور موضوع القصيدة حول هجاؤء أبي نواس لقوم "تميم" و"أسد".

[1] فواز فتح الله الراميني: البلسم الشافي في علوم البلاغة دار الكتاب الجامعي، الامارات العربية ط 1،2009 ص 325

[2] يحي ابن معطي: البديع في علم البديع،ص 235

وفهمنا من هذا الفن أنه يأتي في قالب هزلي يحمل نوعا من الاستهزاء والتهكم لكن المراد منه الجد والحقيقة.

24 -الزيادة:

يقول ابن معطي:[1]

وهَاكَ زِيادَةٌ اسْتأْترت بمَعْنى يَزيدُ على ما اسْتَقَرَّ

إِذا رَكَبُوا الخَيْلَ واسْتَلامُوا تَحَرَّقت الأرضُ واليوم قرَّ

نلاحظ أن هذا الفن يتداخل في دراسات البلاغيين القدماء مع فنون الاعتراض والتتميم والتكميل.

وقد وظف ابن معطي بيتا لامرئ القيس، وهذا للدلالة على فن الزيادة، حيث نرى الشاهد في قول الشاعر "واليوم قر" وذلك أنه لما أراد وصف شدة أصحابه وركض خيولهم ركضا شديدا تكاد الأرض تحرق منه. اتى بهذه الجملة الحالية من أجل الزيادة في المعنى.

ونظن في الصدد أن الزيادة تأتي بعد تمام المعنى وكماله ولهذا نجدها تتقاطع وفنون التتميم والتكميل عند البلاغيين وهي بمثابة معنى زائد، وقد وفق ابن معطي في نظمه لهذا الفن.

[1] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 236

وجاء هذا الفن في خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي بمسمى الاعتراض بحيث يعرفه قائلا: "عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين، تفيد زيادة في المعنى عرض المتكلم، ومنهم من سماه الحشو...."[1]

25 –المشاكلة:

يقول ابن معطي:

وفي المُشَاكَلَةِ المَعنَى لمتَحد لَفْظَاهُ مُخْتَلِفٌ كالسَاق والسَاقِ

كادَتْ تُسَاقِطُني والرَحلُ ان نَطَقَتْ حَمَامَةٌ فَدَعَتْ سَاقًا على سَاقِ

نلاحظ أن ابن معطي قد وظف بيتا من أبيات "الشماخ" لإبراز معالم هذا الفن والشاهد في قول الشاعر: "كالساق والساق" بحيث جمع بين الساق الأولى والساق الثانية في اللفظ لكننا نرى اختلافهما في المعنى فالساق الأولى تعني ذكر الحمام، والساق الثانية تعني ساق الشجرة.

كما نجد كثيرا من البلاغيين يدرسونها بمسمى التجانس، فالرماني مثلا ورد عند هذا المصطلح فيقول: "أن تجانس البلاغة هو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة، والتجانس على وجهين مزاوجة ومناسبة، فالمزاوجة تقع في الجزء...."[2] ، ومنه قوله تعالى: "يخادعون الله وهو خادعم"[3]، أي بنعنى مجازيهم على خديعتهم وبال الخديعة راجع عليهم، أما المناسبة فتدور

[1] ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب ص 279

[2] أبو الحسن الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول دار المعارف القاهرة ط 1991/2 ص 99

[3] النساء:142

في المباني التي ترجع إلى أصل واحد فمن ذلك قوله تعالى: "ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم"[1]، نلاحظ بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير، والأصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء، أمامهم فذهبوا عن الذكر أما قلوبهم فذهب عنها الخير.

ذكر ابن حجة الحموي أن المشاكلة هي ذكر اللفظ بغير لفظه لوقوعه في صحبته..."[2]، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "إن الله لا يمل حتى تملوا"، الأصل: فإن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا عن مساءلته، فوضع لا يمل موضع لا يقطع الثواب على جهة المشاكلة، وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا.

26 - التنبيه :

يقول ابن معطي :[3]

وهَاكَ وفي التَّنْبِيهِ وهُوَ انْتِقَادُه عَلَى نَفْسِهِ وَصْمًا لِمَا هُوَ نَاظِمُ

فَيَسْتَدْرِكُ البُهْتَانَ بَعْدَ تَمَامِهِ كَمَا قَالَ سَبَّاقٌ إِلَى الأَصْلِ هَائِمُ

سَأَرْقُمُ فِي المَاءِ القُرَاحِ إِلَيْكُم عَلَى نَأْيِكُمْ إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ رَاقِمُ

ولا شك أن ابن معطى قد استشهد ببيت " لأوس بن حجر" لإبراز خصوصيات هذا الفن، فالشاهد على التنبيه في هذا البيت قول الشاعر: "إن كان للماء راقم" وذلك أنه أراد التبيين على فطنته وحذقه للأمور، وبأنه قادر على أن يرقم على الماء، حيث يكون ذلك من المستحيل، لأن

[1] التوبة 128

[2] ابن حجة الحموي:خزانة الأدب ص 254

[3] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 243

الرقم على الماء لا يثبت، وكأنه حين عبر في بداية كلامه عن الرقم في الماء قد تنبه إلى قول قد يقال: وهل هناك من يستطيع الرقم على الماء؟ فكان القول الأخير بمثابة التنبيه على ذلك.

وبرأينا أن التنبيه هو بمثابة استمالة المستمع أو القارئ إلى قول معين وذلك بالإشارة إليه، فتكون الغبارة قريبة من المستحيل، وبعد ذلك يفسح المجال للاستدراك من أجل إصلاحها.

27 – المواردة:

يقول ابن معطي:[1]

وهَاكَ وفي ذِكْرِ المُوَارَدَةِ اسْتَمِعْ لِفَحْوَى اتِفَاق الشَاعِرَيْنِ بِمَوْرِدِ

كَقَوْلِ امْرِئِ القَيْسِ الذي لَمْ تَزِدْ به مُخَالَفَةُ ابْنِ العَبْدِ غَيْرَ التَجَلُدِ

وُقُوفًا بها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولونَ لا تَهْلَكْ أسًى وتجَلدِ

فالمواردة أو التوارد هو أن يقع الحافز على الحافز كأن يقول الشاعر بيتا فيقوله شاعر آخر دون أن يسمعه، ويشترط بعضهم لصحة الموالردة أن يكون الشاعران متعاصرين.

لا شك أن ابن معطي قد وظف بيتا "لطرفة ابن العبد" لإيضاح معالم هذا الفن، إن نزله لمّح في المنظومة إلى قول امرئ القيس الذي يتناسب وقول طرفة، بحيث يحدثان نوعا من التوارد، سوى أن الاختلاف في القافية فقط، فنجد قرينة امرئ القيس: "أسى وتجمّل" وقرينة طرفة ابن

[1] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 245

العبد: "أسى وتجلد"، فالتوالرد هو محاكاة قول شاعر لشاعر آخر على وجه من التشابه يكاد يقترب من التطابق، غير أن الاختلاف قد يكون في حرف فقط.

28 -المواربة:

يقول ابن معطي:[1]

وهَاكَ وفي ذِكْرِ المُوَارَبَةِ اسْتَمِعْ لأَلْطَفَ ما قَدْ قَالَ فِيهِ أَدِيبُ

مَقَالَ الحَرُورِيُّ الذي قَدْ اَتَى به هِشَامًا مَرُوعًا منهُ وهو يُرِيبُ

فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُم من كَانَ مَرْوانُ وابْنُهُ وعَمْرُو وفِنا هَاشِمُ وحَبِيبُ

ومنَّا حُصَيْنُ والبطينَ وقُنْعُبُ ومنَّأ أَمِيرَ المُؤْمِنين شَبِيبُ

ونلاحظ أن ابن معطي يوظف بيتين "للحروري" من أجل الاستشهاد على هذا الفن والشاهد في قول الشاعر: "ومنا أمير المؤمنين".

نرى بأنه يتخلص الراء بلا من ضمها، فأصبحت أمير المؤمنين في موضع النداء بدلا من موضع الابتداء، وبذلك نلاحظ تغير معنى الجملة وهنا تجسد فن المواربة.

فهذا الفن يفضي بنا إلى القول أن المواربة فن بديعي يوظفه الشاعر أو الكاتب في كلامه وذلك بتحريف كلمة أو تغيير في حركتها قصد الإجابة عن قضية تحدث عنها سابقا وهذا من أجل تدارك نقص قد يعيب عليه كلامه السابق.

[1] ابن معطي البديع في علم البديع ص 247

2- المنهج في تأليف منظومة ابن معطي:

لاشك أن ابن معطي، الذي عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والنصف الأول من القرن السادس الهجري قد عوّل بطبيعة الحال على أعمال التراثيين النجباء وعلى أهم المصنفات البلاغية الذائعة الصيت في ذلك العصر والسابقة عليه، واستفاد منها أيما استفادة في بناء منظومته البديعية ويمكننا في هذا الصدد الإشارة إلى أهم هذه المصنفات، حيث نجد في مقدمتها نقد الشعر لقدامة بن جعفر، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، ومواد البناء لعلي ابن خلف، والعمدة لابن رشيق القيرواني، وسر الفصاحة لابن سنان، والبديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ وغيرها من المؤلفات البلاغية.[1]

إلا أن بعض الدراسات تشير إلى اعتماد ابن معطي بصورة كلية على فصل في علم البديع عقده الخطيب التبريزي(ت502هـ) في آخر كتابه " الكافي في العروض والقوافي"[2].

ولعلنا ندرك من الوهلة الأولى أن منهج ابن معطي في بناء منظومته البديعية يتركز أساسا على البنية الإيقاعية للشواهد البلاغية التي يوظفها في منظومته، والمستمدة – في الغالب–من أشعار مختلفة الوزن والقافية والروي وكذلك البحر، وهذا ما يبرز اعتماده على أعمال مجموعة من الشعراء، حيث يظهر لنا بوضوح أن ابن معطي يقوم بنسج البيت الشعري الذي يتناول الفن

[1] ابن معطي: البديع في علم البديع (مقدمة المحقق أبو شوارب) ص 59

[2] المصدر نفسه ص 59

البديعي من صنيعه، ثم يقوم بتوظيف أبيات شعرية من التراث تتلاءم وتنسجم وذلك الفن المدرج ضمن البيت الذي نسجه، وهو الصنيع الذي التزمه من أول منظومته إلى آخرها.

كما نظن أيضا أن ابن معطي قد انتهج منهجا متميزا يقوم أساسا على تقديم الفن البديعي ثم حشد جملة من الشواهد الشعرية التي تمثل طاقته الإبداعية، فهو بذلك يصبو إلى شرح وتفسير هذا الفن تفسيرا دقيقا يكشف من خلاله عن جوانب هذا الفن، وهذا ما نجد في تعريفه لفن التكميل، يقول:[1]

وهاك من التكميل وهو مجيئه بلفظ حوى المعنى التمام لناظم

فيستغرق اللفظ المعاني كلها على صحة تنفي مقالا لواهم

فالملاحظ لهذه الأبيات يستشعر أنه بصدد الوقوف على تعريف نثري، لكنه في حقيقة الأمر هو نظم شعري ينجح فيه ابن معطي إلى حد بعيد في رسم السمات الحاكمة لتصور هذا الفن في كتابات البلاغيين السابقين والمتمثلة في: تمام النعنى، وتتبع المعنى، واكتمال المعنى، فيقوم بترجمة هذه الخصائص في قالب نظمي بارع الدقة، وهذا ما يبرز على أن ابن معطي كان قادرا على تحديد المصطلح البلاغي بصورة واضحة على الرغم من التشعب والتداخل والتكثيف بين المصطلحات.

وقد يتفق ابن معطي مع كثير من البلاغيين حول دلالة بعض المصطلحات، وهذا ما نجده مجسدا في فن "براعة الاستهلال"، حيث استقر مفهومها عند البلاغيين إلى قدرة المتكلم على أن

[1] ابن معطي: البديع في علم البديع ص 154

يكون مفتتح كلامه دالا على فحواه ومشيرا إلى مضمونه، وهو ما نراه بوضوح في قول ابن معطي:[1]

براعة الاستهلال أن تبتدي بما يدل على المقصود في البيت أول

وهذا كفيل بالقول أن ابن معطي كان حريصا على استقاء آراء البلاغيين والالتزام في بعض الأحيان بما استقر لديهم من معارف تخدم الجانب البديعي، ومن أوجه الاتفاق أيضا مع البلاغيين أن ابن معطي لا يكاد يغادر في تفسيره لفن التنبيه شيئا مما تعارف عليه أهل البلاغة بوصفه لونا من ألوان انتقاد المعاني واستدراكها، حيث يقول:[2]

وهاك وفي التنبيه وهو انتقاده على نفسه وصما لما هو ناظم

فيسترك البهتان بعد تمامه كما قال سباق إلى الأصل هائم

كما أن ابن معطي لا يتكبد عناء البحث عن تفاسير وشروحات جديدة لبعض المصطلحات، بل يكتفي في مواضع كثيرة بتقديم المصطلح لا غير، وهذا ما نراه في تعريفه للموازنة والإشارة والاستدراك.

ولا شك أن ابن معطي كان على وعي تام بالإشكال العويص الذي أصاب الدرس البديعي في التراث البلاغي، والمتمثل في التُخْمة المصطلحية المنجرة من تشقيق فنون البلاغة وتعريفها اعتقادا من البلاغيين أن التفوق يرجع إلى كثرة الأنواع البديعية، وابتكار ألوان جديدة قد تكسب

[1] ابن معطي البديع في علم البديع ص 196

[2] المصدر نفسه ص 143

البلاغي السبق والشهرة، وهو ما يرفضه ابن معطي–بطبيعة الحال–في منظومته، بحكم طابعها الأدائي التعليمي الهادف إلى تكثيف الدرس البديعي وتركيزه، حيث يسعى جاهدا إلى دمج بعض المصطلحات التي يرى فيها شيئا من التقارب، وهذا ما نجد في جمعه بين التسهيم والتوشيح في فن واحد على الرغم من أنهما فنان متمايزان عند بعض البلاغيين، يقول:[1]

واسمع التسهيم الذي قد يسمى أيضا التوشيح الذي فيه قيلا

وهو الذي نراه–أيضا–في جمعه بين التعطف والتردد، وهما مختلفان بطبيعة الحال عند بعض البلاغيين، كما نجده يشير إلى انتماء مصطلح إلى آخر، وهذا ما يتضح في تناوله للترصيع الذي ينتمي عنده إلى السجع، يقول:[2]

وهاك أمثلة الترصيع لآتية بالسجع في الحسن والتفهيم مصحوب

ونراه أيضا يجمع الالتفات مع الاعتراض، فيقول:[3]

والالتفات هو اعتراض محمل فيه لحسان جمال المجمل

الخلاصة من هذا الدمج بين المصطلحات عند ابن معطي توحي لنا بأنه يخالف بعض البلاغيين في تناولهم لهذه المصطلحات، ظنا منه أنه التشقيق والتفريع بين الفنون لا يخدم البتة الدرس البديعي، فاعتبار أن هذا التقسيم يؤدي إلى التعقيد والغموض والإيهام، حيث يصعب على الدارس والباحث تلقف المفاهيم وضبطها.

[1] ابن معطي البديع في علم البديع ص 141

[2] ابن معطي البديع في علم البديع ص 152

[3] المصدر نفسه ص 167

وجل هذه المحاولات من لدن ابن معطي تبرز لنا مدى إلمامه بجميع الجوانب الفنية التي تسهم في ضبط المصطلح البديعي وتفسيره تفسيرا دقيقا، نابعا جراء التراكمات المعرفية التي تشبع بها من خلال استقرائه لمضامين القدامى.

وحسبنا أيضا أن نشير إلى بعض الفنون التي اكتفى فيها ابن معطي بذكرها فحسب، دون أن يقدم اي تفسير أو تعريف، وهذا ما نجده في عرضه "الاستعارة" حيث يقول:[1]

وهاك وفي النوع المسمى استعارة كقول زهير فيه لا فض قائله

وكذلك في عرضه "تجاهل الغارف" ، حيث يقول:[2]

تجاهل عارف وافى زهير به فأجاد فيه ما يشاء

وفي سياق حديثنا عن الشواهد الشعرية التي تبناها ابن معطي في نسج معالم منظومته، يمكننا القول أن هذه الشواهد قد أسهمت في بناء هذه المنظومة نظرا لتميزها بنصاعة الدلالة، وامتداد التأثير. فعناية ابن معطي بالشاهد الشعري فاقت كل اعتبار، بوصفه مثالا كاشفا، وغاية مقصودة وعلامة فارقة، وقبل ذلك كله تحقيقا فعليا للفن البلاغي، الشغل الشاغل في هذا كله من قِبَلِ ابن معطي هو إضفاء ديناميكية فعالة تكسب الفن البديعي رونقا وإيقاعا متميزا.

[1] ابن معطي البديع في علم البديع ص 108

[2] المصدر نفسه ص 232

الخاتمة

لقد تناولنا في هذا البحث منظومة بديعية تعد من أقدم المنظومات التي عرفا الدرس البلاغي البديعي ألا وهي منظومة "البديع في علم البديع" ليحي ابن معطي الزواوي، فارتأينا في ذلك أن نغوص في أعماق هذه المنظومة ونلج في متاهاتها، وأملنا في ذلك أن نستقي بعض الجوانب المتعلقة بالبديع ونستفسر عن بعض التساؤلات التي يمكن أن تطرح حول هذه المنظومة. وقد استطعنا من خلال دراستنا لهذه المنظومة أن نرصد مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها، نفصلها فيما يلي:

1- تُعد منظومة يحي ابن معطي الزواوي أقدم درس بلاغي في مجال النظم البديعي، وقد تبين لنا ذلك من خلال رصد مراحل تطور المنظومات البديعية.

2- منظومة ابن معطي اشتملت على علوم البلاغة الثلاثة: المعاني، البيان، والبديع، ولم تقتصر على "علم البديع" وحده ويتضح ذلك من خلال رصد ابن معطي الفنون التالية: الاستعارة، والكناية، فهما ينتميان إلى علم البيان.

3- منظومة ابن معطي منظومة تعليمية، هدفها الأساسي تعليمي بامتياز، وهذا ما كان يتطلبه ذلك العصر، حين أصبح المنظوم من العلوم أقرب إلى الأذهان وإلى الحفظ اليسير من المنثور.

4- نلاحظ أن منظومة ابن معطي نجحت إلى حد كبير في المزاوجة بين القاعدة والتطبيق، وذلك من خلال تعريف الفن البديعي ثم إلحاقه بالشاهد الذي يمثله تمثيلا بارعا ووافيا وكافيا.

5- منظومة ابن معطي تحوي أبرز الشواهد الشعرية الذائعة الصيت في مصنفات البلاغيين، فهو يستشهد من الشعر الجاهلي وكذلك من الشعر الإسلامي، ومن الشعر العباسي، وهذا دليل على توسعه في الإحاطة بمختلف الشواهد التي تخدم منظومته البديعية.

6- كان يحي ابن معطي يقوم بدمج بعض المصطلحات كالجمع بين السجع والترصيع، كذا الجمع بين الالتفات والاعتراض وهو بذلك يخالف بعض البلاغيين، فقد كان يرى أن الفصل بين هذه المصطلحات لا فائدة منه وقد يؤدي إلى التشعب والغموض والإبهام.

فهرس المصادر والمراجع

أولا: المصادر

❖ **القرآن الكريم:**

- ابن الاثير ضياء الدين:

1. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الخوفي، وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، القاهرة، (د ت).

- الجاحظ ابو عثمان:

2. البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط4.

- ابن جعفر قدامة:

3. نقد الشعر، تحقيق وتعليق، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت).

- الجرجاني عبد القاهر:

4. دلائل الاعجاز، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، 1989.

5.أسرار البلاغة، تحقيق محمد عبد ومحمد الشنقيطي، دار المنار، القاهرة، مصر، (دت).

- الحلي صفي الدين:

6. النتائج الالهية في شرح الكافية البديهية، تحقيق عماد حسن مرزوق، بستان المعرفة، 2006.

- الحموي ابن حجة:

7. خزانة الادب وغاية الادب، تحقيق ملاح الدين الواري، دار أبناء شريف الانصاري، ميدا بيروت، ط2،2009.

- الرماني ابو حسن:

8. النكت في اعجاز القرآن، تحقيق محمد خلق الله ومحمد زغلول، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1991.

- السيوطي جلال الدين:

9. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنجاة، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة، 1965.

- العسكري ابو هلال:

10. الضاعتين، تحقيق محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، دار الحلبي، القاهرة، 1971.

- القرطاجني حازم:

11. مناج البلغاء وسراج الادباء، تحقيق محمد خواجة، دار الكتب الشرقية، بيروت، لبنان (دت).

- ابن قرقماس ناصر الدين محمد:

12. وهر الربيع في شواهد البديع، تحقيق مهدي اسعد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

- القزويني الخطيب:

13. الايضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد القادر الفاضلي، دار أبناء شريف الأنصاري، 2009.

- القبرواني ابن رشيق:

14. العمدة في محاسن الشعر وادابه، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 1972.

- ابن المعتز عبد الله:

15. البديع، تحقيق اغناطيوس كراتشفوفسكي، مكتبة دمشق، بغداد العراق، 1979.

- ابن معطي يحى:

16. البديع في علم البديع، تحقيق ودراسة محمد مصطفى ابو شوارب، دار دنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، 2003.

ثانيا: المراجع:

- ابراهيم احمد موسى:

1. الصيغ البديعي في اللغة العربية، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1969.

- الراهيني فواز فتح الله:

2. البلسم الشافي في علوم البلاغة، دار الكتاب الجامعي، الامارات، ط1، 2009.

- زايد علي مشري:

3. البلاغة العربية تاريخها، مصادرها، مناهجها، مكتبة الاداب، ميدان الاوبرا، القاهرة، مصر، ط7، 2009.

- سلطان منير:

4. البديع تأصيل وتجديد، دار منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، 1986.

- شعيب احمد:

5. بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية، دار ابن جزم، ط1، 2008.

- ضيف شوقي:

6. التطور والتجديد في الشعر الاموي، دار المعارف ط8، 1987.

- عتيق عبد العزيز:

6. علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (دت).

- عطية مختار:

6.علم البديع ودلالات الاعتراض في شعر البحتري، دار الوفاء لدنيا الطباعة الاسكندرية، مصر، 2004.

- فريد عائشة حسين:

7. وشي الربيع بالوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء، القاهرة، 2000.

- قيود بسيوفي عبد الفتاح:

8. علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، مؤسسة المختار، ط3، 2011.

- مبارك زكي:

9. المدائح النبوية في الادب العربي، دار الشعب، القاهرة، 1971.

- المرافي احمد حسن:

10. علم البديع، دار المعرفة الجامعية، 1999.

- المجيد جميل:

11. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (دت).

- الواسطي نور امحمد:

12. التضاد في الشعر العربي حتى اواسط القرن الربع الجري، دراسة بلاغية، رسالة دكتوراه، قسم الادب العربي، جامعة مستغانم، 2009.

الفهرس

- المقدمة ..... أ- ب

الفصل الاول: مفهوم البديع في البلاغة العربية

المبحث الاول: مفهوم البديع عند البلاغيين العرب

1- مفهوم البديع عند الجاحظ (ت255هـ) .....
4

2- مفهوم البديع عند ابن المعتز (ت296هـ) .....
7

3- مفهوم البديع عند ابي هلال العسكري (ت395هـ) 11

4- مفهوم البديع عند ابن رشيق القرواني (ت464هـ) 13

5- مفهوم البديع عند عبد القادر الجرجاني (ت471هـ) 16

المبحث الثاني: مفهوم البديع في البديعيات

1. النظم العلمي 19

2. النظم البديعي 22

3. رواد البديعيات 25

الفصل الثاني: فنون البديع في منظومة ابن معطي الزواوي (628ه)

المبحث الاول: فنون البديع في منظومة يحى بن معطي

1.الطباق 36

2.التجنيس 40

3.الاستعارة 41

4.الالغاز 42

5.الارداف 43

6.الموازنة 44

7.المبالغة 45

8.الفكر 46

9.الايغال 47

10.التسهيم 48

11.صحة التقسيم 49

12.التكميل 50

13.الترصيع 52

14.الالتفات 53

15.الاستدراك 55

16.الاستثناء..... 55

17.براعة الاستهلال 56

18.براعة التخالص..... 58

19.التبيين 59

20.المذهب الكلامي 61

21.التفريغ 63

22.تجاهل العارف 64

23.الهزل المراد به الجد 65

24.الزيادة 66

25.المشاكلة 67

26.التنبيه 68

27.المواردة 69

28.المواربة 70

المبحث الثاني: المنهج في تأليف منظومة يحى بن معطي الزواوي 71

- الخاتمة..... 78
- فهرس المصادر والمراجع 81
- فهرس البحث 87